



كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

أحمد محمد جمال

رحمه الله

الداعية - المفسر - الأديب

شارك في تحرير هذا الكتاب :

- السيد محسن باروم
- اللواء علي زين العابدين
- د. حسن محمد باجودة
- د. عبد الصبور مرزوق
- د. حسن محمد عتر
- د. عاصم محمد حمدان
- الأستاذ زهير كتبي
- أبناء الأستاذ أحمد جمال
- الأستاذ محمد محمود حافظ

السنة الثانية عشرة - ذو الحجة ١٤١٤ هـ - العدد ١٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا الكتاب

لقد كانت استجابة كريمة من الأخوة الأساتذة الذين أسهموا في تحرير مادة هذا الكتاب عن الفقيه الغالي الشيخ أحمد محمد جمال - رحمه الله - ولعلي أقف اليوم احتراماً للرجل العالم الفقيه الأديب الشيخ أحمد - رحمه الله - أكثر من أي يوم مضى ذلك أنه ترك ثروة من العلم والانتاج الفكري والأدبي الرائع لم تكن واضحة أمامي يوم كان بيننا يمشي ويتحرك بهذه الكيفية وهذا الشمول كما أراها اليوم .

- ولقد امتدت صداقتي ومعرفتي بالشيخ أحمد أكثر من ثلاثين سنة - كان جاراً رائعاً في تعامله ورفقته ،
- وكان صديقاً أنيساً متميزاً في علاقاته .
- وكان أستاذاً مريباً كريماً مع طلبته .

- وكنت تلمس عطفه وشغفه بالحديث مع أبناء أمته من الشباب .
- كان أحمد جمال . كل ذلك الزخم من المعرفة ، والعمل والنشاط ، والإنتاج الفكري والأدبي والثقافي والإعلامي . وليس هذا الكتاب حصراً لكل أعمال هذه الشخصية الإسلامية المعطاءة إنما يمثل جانباً لما حارب لبعض جوانب هذه الشخصية الإسلامية الفذة . . مما يجده قاريء هذا الكتاب من اسهامات الأساتذة الفضلاء أصدقاء الشيخ أحمد . والذين وجدوا في صلتهم به وصلته بهم وقرّبهم منه وتقربه إليهم عملاً نافعاً إن شاء الله .

- وأنا مدين بالشكر والإمتنان للذين أسهموا في تحرير مادة هذا الكتاب .

- وقد قسمته على فصول واخترت لكل فصل عناوين مناسبة للموضوع أو قريبة منه .

- والشيخ أحمد- رحمه الله عليه- لعشر سنوات وأكثر كان مشرفاً على هذه السلسلة كابد، كثيراً من أجل استمرار إصدارها مع كل شهر عربي خدمة للفكر والدعوة .

وبلغ ما صدر من هذه السلسلة حتى تاريخه مائة وثلاثة وأربعون كتاباً .

وبمرور سنة على وفاته حيث توفاه الله في ليلة التاسع من شهر ذي الحجة لعام ١٤١٣هـ يصدر هذا الكتاب تقديراً لجهوده وجهاده .

لأن الفقيه الغالي يعتبر رمزا من رموز الدعوة الإسلامية في هذا العصر. قدم خدمات جليلة ومميزة للأجيال المسلمة. دفاعاً عن العقيدة، وتأصيلاً للثقافة الإسلامية تمثل ذلك في العطاء السخي، والمجهود العلمي في محاضراته، وبحوثه، ومقالاته، وكتبه، وأحاديثه، الإذاعية، والتلفازية، وجولاته الدعوية في بعض دول العالم .

- عمل بشكل دؤوب على ترسيخ مفهوم الإسلام في حياتنا اليومية. شارك في كثير من القضايا التي تهم الأسرة والمرأة على وجه الخصوص .

وهذا الكتاب لمسة وفاء للفقيه الغالي . رحمه الله رحمة الأبرار وغفر له ولنا وللمسلمين . . آمين والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود حافظ

أحمد محمد جمال
رائد من رواد الأدب الإسلامي

بقلم سعادة الأستاذ
محسن أحمد باروم



الفصل الأول :

- * أحمد محمد جمال رائد من رواد الأدب الإسلامي**
- * مفهوم الأدب الإسلامي.**
- * الالتزام بالأدب الإسلامي.**
- * دعوته للتمسك بالأصالة والأدب**
- * رفضه للحدثة .**
- * دفاعه عن اللغة العربية.**
- * دفاعه عن القرآن والسنة.**
- * دفاعه عن قضايا أمته**

احمد محمد جمال رائد من رواد الادب الاسلامي

مضى اكثر من عام واحد على وفاة الاديب والمفكر الاسلامي الاستاذ احمد محمد جمال الذي عرفته ساحات الادب والفكر والصحافة ومنتديات الثقافة الرفيعة فارسا مجليا لا يشق له غبار عرف بسلاسة الاسلوب وجلاء الفكرة ووضوح الرؤية الاسلامية فيما تناوله من موضوعات متنوعة تعالج شؤون الحياة والكون والطبيعة والانسان وتبين عن موقف قوى يهدف الى اعلاء شأن العقيدة الاسلامية ووجوب تأثيرها في مختلفة مناحي الحياة الانسانية للانسان المسلم في صور ادبية واشكال فنية جميلة تحمل لقارئها ضروب الامتاع الذهني والتذوق الجمالي والراحة الشعرية الهادئة .

وليس غرضي في هذه الدراسة ان اعرض لمختلف جوانب الحياة الفكرية للاستاذ احمد محمد جمال فذلك امر لا تتسع له هذه الدراسة التي قصرتها على الجانب الادبي من جوانب حياة الاديب المسلم الذي شاء الله له ان يجرد قلمه وثقافته ومشاعره الحية للدفاع عن حوزة الاسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة كامل ووجوب استلهاام قيمه ومبادئه ومثله الحضارية العليا فيما ينشئ المبدعون من الوان الادب واشكاله الفنية وضروريه التعبيرية الموحية بقيم الحق والخير والجمال .

ولذلك ليس غريبا ان نرى هذا الاديب المبدع قد انصرف عن نظم الشعر منذ وقت مبكر اذ اكتفى باصدار ديوانه «الطلائع» في مستهل حياته الادبية في عام اثنين وستين وثلاثمائة والف من الهجرة ، لانه

احس في قرارة نفسه بعجز قوافي الشعر واوازنه عن التعبير القولي السهل عما يضطرب في الحياة العامة من مشكلات ومايقع فيها من مآسى ومايدور فيها من صراعات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية فكان ذلك الديوان بمثابة «الطلائع والخواتيم» اوضح ذلك نفسه في الحوار الذي أجرته معه صحيفة «عكاظ»^(١).

وانصرف الاستاذ احمد محمد جمال بعد ذلك الى مختلف مجالات الدراسات الاسلامية والسياسية والدعوية يبدع فيها الوان المقالات الادبية والسياسية والاجتماعية ينافح فيها باسلوبه القوي وبيانه الواضح عن رؤيته الاسلامية المفتحة لشؤون الادب والفكر والسياسة والاجتماع والتربية والاقتصاد والتي كان ينشرها في مختلف الصحف والمجلات السعودية والاسلامية يؤصل فيها منهج الادب الاسلامي بابعاده الفكرية الواسعة التي تتعدى فنون الادب من شعر وقصة ومسرحية ورواية ومقالة ونقد وغيرها من الاشكال الادبية المعروفة للدارسين والكاتبين . وانما تعداها في منهجه الى الوان الدراسات العلمية والثقافية والتاريخية التي يلتزم كاتبوها ومنشئوها بأداب الاسلام وقيمه العقيدية والخلقية ورؤاه الفكرية والاجتماعية الهادفة الى صياغة شخصية الانسان المسلم وفكره وروحه وحياته وفقا لتعاليم الاسلام ومناهجه الفكرية والدينية التي تحث على الارتفاع بمختلف مناحي حياته العامة والخاصة الى آفاق رحبة رفيعة تحقق له الطمأنينة والاستقرار والهدوء والانسجام مع نفسه ومجتمعه وتدفع به الى انتاج ادب وعلم وفن رفيع يحترم المقاصد العليا للانسان في حياته الدنيوية مما

(١) مقالة «حديث مع اديب» ص ٣٣ ومابعدها من كتابه «ادب وادباء» سنة ١٤١٣ .

يؤمله للفوز في حياته الاخروية القادمة بإذن الله تعالى .
واذا اجلنا النظر الفاحص والدرس الدقيق للانتاج الفكرى الثرى الذى
خلفه الاستاذ احمد محمد جمال منذ تمسكه بمنهج الالتزام الاسلامى في
كتاباتة الدينية والادبية والاجتماعية والسياسية التى تبلورت في مجموعة
الكتب والمؤلفات القيمة التى اربت على ثمانية وعشرين كتابا يمكننا ان
نصنّف هذا الانتاج في اربعة مسارات فكرية هي :

● اولاً المسار الفكرى والدعوى.

وقد عالج فيها الوانا من القضايا القرآنية وادب الحديث النبوى
ونظرات في الثقافة الاسلامية وهموم الدعوة الاسلامية وحوارات مع
دعاة الاسلام تلخصها كتبه التالية :

١ - محاضرات في الثقافة الاسلامية .

٢ - مفتريات على الاسلام .

٣ - القرآن كتاب احكمت آياته . . جزءان .

٤ - مآدبة الله في الارض .

٥ - القصص الرمزية في القرآن .

٦ - نحو تربية اسلامية .

٧ - في مدرسة النبوة .

٨ - خطوات على طريق الدعوة .

● ثانيا: المسار الاجتماعي.

اما كتبه التي عاجلت مختلف القضايا الاجتماعية بأسلوبه الصريح والتزامه بالمنهج الاسلامي الواضح فقد تجلت في الكتب التالية :

- ١ - الشباب لقاءات ودراسات .
- ٢ - من أجل الشباب .
- ٣ - قضايا معاصرة في محكمة الفكر الاسلامي .
- ٤ - تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل .
- ٥ - نساؤنا ونساؤهم .
- ٦ - كرائم النساء .
- ٧ - مكانك تحمدي .
- ٨ - المسلمون حديث ذو شجون .
- ٩ - يسألونك .
- ١٠ - عقود التأمين بين الاعتراض والتأييد .
- ١١ - الاقتصاد الاسلامي .
- ١٢ - ماذا في الحجاز .

● ثالثا: المسار السياسي :

اما قلمه القوي ونفسه الجياشة بالوان العواطف الصادقة والطموحات النبيلة نحو مشكلات امته العربية وهموم وجراح امته الاسلامية فقد شغلت منذ وقت مبكر من حياته العامة مساحة واسعة . ناضل فيها بفكره الحر ونظراته الجريئة وثقافته السياسية

الواسعة بشؤون عالمه الاسلامي الكبير ما جعله يفرغ كل هذا في مقالات صحفية ودراسات وابحاث متعددة تمثلت في مؤلفاته الآتية :

- ١ - استعمار وكفاح .
- ٢ - مأساة السياسة العربية .
- ٣ - نحو سياسة عربية صريحة .
- ٤ - فكرة الدولة في الاسلام .
- ٥ - الجهاد في الاسلام .

● رابعا : المسار الادبي :

وهو ما نهدف اليه في هذه الدراسة التي تناول الاستاذ احمد محمد جمال كأحد الادباء والمبدعين الذين وجهوا طاقاتهم الفكرية وملكاتهم الفنية وقوى الابداع المذخورة في اعماق نفوسهم الى تناول مظاهر الحياة وشؤون الفكر واللغة والادب وخفايا مشاعر النفس وهموم الواقع المعاصر في إطار الالتزام بمناهج الاسلام في العقيدة والتربية والاجتماع والسلوك فكان من اوائل الادباء والكتاب الذين اكدوا مبدأ الالتزام الاسلامي في بلادنا فكرا وادبا وثقافة ليكون ادبنا مرآة صادقة لهوم المسلم المعاصر يعبر عنها في صدق واخلاص ووضوح .

ومقالاته وابحاثه المنشورة في كتابيه : « ادب وأدباء » و « الصحافة في نصف عمود » هي خلاصة فكره وفيض قريحته نحو ما امتلأت به نفسه وجاش في وجدانه من احساس ومشاعر وخلجات جسدت تطلعات اديب عربي مسلم يرنو الى تحقيق قيم الحق والخير والحرية والجمال في

حياة امته العربية والاسلامية يبغى لشعوبها رفعة الشأن وعلو المكانة وحسن الاحدوثة وكرامة العمل لتتعم بحياة انسانية فاضلة يظللها الاسلام بمبادئه السمحة وقيمته الرفيعة في الاعتقاد والتربية والسلوك العملى الفاضل .

واذا امعنا النظر في الانتاج الادبى والصحفى الذى ضمه هذان الكتابان لنستبين ملامح الموضوعات والمحاور الفكرية التى دار عليها هذا الانتاج للتعرف على رأيه نحو مفهوم الادب الاسلامي الذى يعتبر بحق احد رواده الاوائل في بلادنا العزيزة فضلا عن اعتباره من طلائع الادباء العرب الذين يمثلون الواجهة المشرفة والركائز القوية لهذا الادب في عالمنا العربى المعاصر من امثال : سيد قطب ومحمد قطب وعباس محمود العقاد واحمد محرم وعمر بهاء الدين الاميرى ومصطفى صادق الرافعى وعبد الوهاب عزام وعبد الحميد جودة السحار وعلى الطنطاوى ونجيب الكيلانى وبنت الشاطىء .

مفهوم الادب الاسلامي

لقد صورَّ الأستاذ أحمد جمال هذا الأدب بقوله :
إن الادب تعبير فني جميل عن المشاعر والخواطر والافكار . . . التي
تختلج في نفس الاديب تجاه حوادث الحياة وتجارب الاحياء من وجهة
النظر الذي ينظر من خلالها .

والادب - كسائر الفنون - جزء من فطرة الانسان ، والانتاج الادبي -
من شعر ونثر وقصص - انما يأتي تلبية للنزعة الفنية عند الاديب ، ويتأثر
به الناس استجابة لفطرة الحس او الذوق الجمالي المودع في نفوسهم .

وهو - أي الادب - تقاس قيمته ، ويوزن مقداره بالدرجة التي يشبع
بها ، ويمتص المشاعر والاذواق تفكيراً وتعبيراً وغاية ، يستهدف بها
الاصلاح والاسعاد ، والتسامي بالمجتمع والمجتمعين .

والأدب يجب ان يكون ملتزماً بعقيدة ونظرة خاصة الى الحياة
والاحياء ، مهما كانت هذه العقيدة ايجابية او سلبية ، ومهما كانت نظرة
الاديب سوداء او بيضاء ، متفائلة أو متشائمة .

حتى ما يبدو او يخيل (للبعض) من ان شعر الشعراء ، وقصص
القصاص ، ونثر النافرين الفنيين : لا التزام فيها ، وانها أدب للأدب .
وليست أدباً للحياة : هو في الواقع - وخلافاً لما يظنون - «أدب للحياة» ،
وليس ادباً للأدب» وليرجعوا الى كتب الشعر والقصص والنثر الفني ،
متأملين ، متفكرين . . فسوف يجدونها تنطوى على نظريات وأفكار
وعقائد دينية ، وخلقية ، واجتماعية . . تمثل (الترام) الاديب اروع تمثيل .

والأدب الاسلامي - بصفة خاصة - أدب بعقيدته الحقة، وتصوره الصحيح تجاه الكون وبدائعه، والانسان نوازه، والحياة ومرحليتها وغايتها^(١).

كما أكد هذا المعنى في مقالته (تراجم الأدباء) التي يرد فيها على الاستاذ عبد القدوس الانصارى صاحب مجلة المنهل مبينا فيها وجهة نظره بجلاء ونفاذ بصيرة فيقول: «وربما ظن الاستاذ الانصارى ان الدراسات الاسلامية والسياسية والاجتماعية.. التي اصطبغ بها عملي الأدبي اخيرا، وأصدرت بها عددا من المؤلفات معروفا لدى القراء ليست أدبا، وأعتقد أن هذا الظن اذا كان قد خالج الاستاذ الانصارى - غير صحيح.

فالأدب - كما هو معروف - هو التناول الفكري والعمل الكتابي لمجموعة من الفنون والافكار والموضوعات المختلفة.. وليس أدل على ذلك من كتب الأدب القديمة وكتب الأدب الحديثة أيضا.

ومن بين أدبائنا المعاصرين - في العالم العربي على الاقل - من مارس الكتابة في الشؤون الاسلامية والاجتماعية والسياسية في اواخر سنواته، ولم يخرجهم هذا الاتجاه من محيط الأدب ودائرة الأدباء، كالعقاد، وطه حسين، والزيات، والطنطاوي، وامثالهم^(٢).

وهكذا فان الاديب الاسلامي احمد محمد جمال قد وسع دائرة الادب الاسلامي ولم يقصرها على فنون الادب التي تعارف عليها الادباء والنقاد المعاصرون وانما أدخل عليها فن القول الجميل الذي يتميز

(١) ما هو الأدب، ومن هو الأديب - صفحة ١١ من أدب وأدباء.

(٢) ص ٥٠، ٥١ من «الصحافة في نصف عمود» سنة ١٤١٢ هـ.

بالتعبير عن قضايا أمتة الاسلاميه وبالاتزام بمنهج الاسلام في العرض والاداء التعبيري والتمسك بأدابه وقيمه .

ولقد اعاد في مقالة اخرى نشرتها له صحيفة (عكاظ) في ١٨ / ٢ / ١٣٨٧ هـ بعنوان (عندما يكون العالم اديبا) يصر على وجهة نظره تلك ويرد على معارضيه وناقديه بقوله :

ما زال هناك - بيننا - من يظن (الاديب) هو الذي يكتب القصة العاطفية ، او ينظم القصيدة الغزلية ، أو هو الذي يبارس الكتابة على مبدأ (الفن للفن) .

ولا اريد ان أعيد ماكتبته ردا على رأي الاستاذ الانصاري في الأدب أو ماقلته - من قبل عن (الاتزام) التزام الاديب بشؤون بيئته ، وانفعاله بالحياة حوله ، ومشاركة الأحياء في مجتمعه في آلامهم وآمالهم بالمعالجة والاصلاح .

وقد قرأت - أخيرا نبأ أتأيد به في وجهة نظري عن الأدب والأديب ، وهو أن العالم الازهري الشيخ احمد الشرباصى - وهو خطيب أديب - وضع رسالته لنيل الدكتوراه عن رشيد رضا وأثره في الأدب واللغة العربية . . تحدث فيها عن السيد رشيد رضا - رحمه الله - كمفكر اسلامي ومفسر قرآني ، ومشتغل بالحديث النبوي ، وخطيب وشاعر ، ومهتم بشؤون اللغة العربية .

وقد نال الاستاذ الشرباصى شهادة الدكتوراه من الجامعة المصرية بعد مناقشة هذه الرسالة بين يدي هيئة أدبية من أساتذة الجامعة .

والعبرة ، أو موضع الاستدلال من النبأ - هو اعتبار (الشيخ رشيد رضا) المعروف كمفسر للقرآن الكريم : أديبا كبيرا له «أثره في الادب

واللغة العربية» وان تعطى شهادة الدكتوراه لمقدم الرسالة على أساس
صدق دعواه، وتدلّله عليها بما لا يقبل الجدل أو الرفض .
فماذا يرى الحاصرون (للأدب) في نطاق العاطفة الفنية أو الفن
العاطفي؟^(١) .

(١) صفحة ٥٤ من كتاب «الصحافة في نصف عمود» .

الالتزام في الادب الاسلامي

لعل الاستاذ احمد محمد جمال رحمه الله اول من دعا من الكتاب السعوديين الى الالتزام بمنهج الفن الاسلامي في مختلف اشكاله وادواته الفنية من قصة ورواية ومسرحية ومقالة ونقد وبحث في مختلف جوانب الثقافة والمعرفة طالما ان كاتبها قد التزم فيها بضوابط المنهج الاسلامي الداعية الى جمال التعبير واستيحاء قيم الحق والخير والعدل والبعد عن كل مايسىء الى عقيدة الاسلام ومثله الخلقية وشواهده الحضارية ويدفع بمتلقيه الى معارج الاصلاح والكمال والاسهام في تقدم مجتمعه ماديا ومعنويا ومحاربة التغريب والتبعية الحضارية والفكرية للغير .

فمنذ اوائل الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري المنصرم وهو يردد في مقالاته ومحاضراته في المؤتمرات الادبية والمنتديات الثقافية وجوب الالتزام بمنهج الادب الاسلامي لا يفتر لسانه ولا يكمل قلمه عن ترداد اسس هذا المنهج .

ولهذا نرى ذلك واضحا في مقالاته الآتية :

الالتزام بين المعارضة والتأييد^(١) - ادبنا ينبغي ان يكون ملتزما^(٢) -
الالتزام ضروري في ادبنا^(٣) - الادب في خدمة الحياة والعقيدة^(٤) .
كما نراه في بحثه القيم الذي القاه على اعضاء المؤتمر الاول للادباء السعوديين الذي انعقد في رحاب جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام

(١) صفحة ١٩ ، من كتاب (ادب وأدب)

(٢) صفحة ٢٠ ، ٢١ من المرجع السابق .

(٣) صفحة ٢٨ من المرجع السابق .

(٤) صفحة ١٣٣ من المرجع السابق .

اربعة وتسعين وثلاثمائة والف هجرية يصبر على هذا المبدأ في قوة وجلاء
ونبرة عالية الصوت فيقول :

إن (أدبنا) كما أتصوره وأتوقه وأطالب به : هو النظر والتأمل من
خلال تصور إسلامي في الكون والحياة والناس بما لهم من قضايا
ومشكلات ومعتقدات ، ثم الانفعال على هذا الأساس ، وبعد ذلك
يأتي العطاء المبارك ، والبناء المتناسك للمجتمع .

وفي سبيل تثبيت (الالتزام) الادبي الذي ندعو اليه اولاً في ديارنا
المقدسة ، وثانياً في العالم الاسلامي - نطالب بعقد مؤتمرات للأدباء
الاسلاميين في شتى انحاء العالم لمواجهة أخطار الأفكار والفلسفات
والعقائديات الملحدة المفسدة - وأنا أقدم هذا الرأي او الاقتراح لجامعة
الملك سعود بالرياض ، كي تدعو الى مؤتمر للأدباء المسلمين ، كما دعت
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة الى مؤتمر للأدباء السعوديين ، وبذلك
تؤدي جامعة الملك سعود بالرياض واجبا فكريا دينيا عظيما . . اهمته -
مع الاسف الشديد - كل مؤتمرات الأدباء العرب التي انعقدت خلال
السنوات الاخيرة في بعض العواصم العربية . . واغفلت البحث في
القيم الروحية والاخلاقية الاسلامية ، التي هي الجانب الاخطر
والاهم في تاريخنا وتراثنا وحياتنا ، والتي ينبغي أن تكون قواعد أدبنا
وأركان الرواسي .

ولعل هناك فريقا من الادباء يظن أن الأدب شيء ، والكتابة شيء
آخر ، أو أن تراث الفلاسفة والأدباء شيء والدراسات العلمية شيء
آخر .

وأنا هنا لأقول لهؤلاء : إن أهل الثقافة العلمية في حاجة ماسة الى

الفكر الروحي، والوجدان الديني، ليتعلموا مبادئ الحق والخير والجمال، وليدركوا أن ثمة مثلاً أخلاقياً أعلى ينظم حياة الناس، ويخلع عليها كل معناها، وحتى يفتنوا إلى أنه لا بد من العمل على صيانة الشخصية الإنسانية من أخطار التقدم الصناعي اللاإنساني، وحماية الحضارة البشرية من جنون الحياة الآلية المادية.

كما أقول أيضاً إذا كان من شأن العلوم أن تعرفنا ماهو «الحق» فإن شأن الآداب أن تكشف لنا عما هو خير، ولذلك من أجل تحقيق الخير في أفكارنا ووجداننا دعونا وندعو إلى (الالتزام) في أدبنا السعوى كمرحلة أولى، ثم إليه في الأدب العربى والإسلامى أجمع في مرحلة تالية - والله الموفق والمستعان»^(١).

(١) صفحة ٢٩، ٣٠ من المرجع السابق

دعوته الى التمسك بالاصالة في الادب واللغة والفكر

ومن كان هذا نهجه في الادب وديدنه في الكتابة فليس غريبا ان نرى كتاباته ومقالاته تفيض بوجوب التمسك بالاصالة والاعتزاز بمقومات حياتنا الثقافية التى تقوم على دعائم راسخة من لغة القرآن وهدى الحديث النبوى وتراث الفكر الاسلامي الاصيل وينابيع الادب الاسلامي الصافية .

فهو يؤكد هذه الحقائق ويرسخ مفاهيمها في أذهان سامعيه وقارئيه فنراه في مقالاته التالية «ادبنا لا معالم له فلنضع معالمه»^(١) «دعوة الى التجديد الادبي»^(٢) «ادبنا بين الشيوخ والشباب»^(٣) «ادبنا بين الاتهام والدفاع»^(٤) «الثقافة العربية وحاجتها الى الاصالة»^(٥) «ماذا يقرأ شبابنا»^(٦) «نصيحة لادباء الشباب» .

ولعل من المناسب في هذا الصدد ان اجتزئ شطرا من نصيحته لادباء الشباب التى يعلن فيها :

«مما يلاحظ على الكتاب الشباب انهم يحشدون اسماء بعض الكتاب الغربيين في كتاباتهم، مع اقتطاف او اختطاف لنظرياتهم حشدا، مع استمرار في الحشد يغري باتهامهم بمحاولة الظهور امام القراء على

(١) صفحة ١٢ من كتاب (أدب وأدباء)

(٢) صفحة ١٥ من المرجع السابق .

(٣) صفحة ٢٤ من المرجع السابق .

(٤) صفحة ٢٦ ، ٢٧ من المرجع السابق .

(٥) صفحة ٧١ من المرجع السابق .

(٦) صفحة ٤٤ ، ٤٥ من كتاب الصحفية في نصف عمود

مستوى اعلى من مستويات الثقافة العربية والفكر الاسلامي .
وللدكتورة نازك الملائكة وجهة نظر تجاه هذه الظاهرة الادبية في
مجال الكتابة العربية - فهي تنكر ان تغص المقالات التي تكتبها اقسام
عربية بالأسماء الاجنبية والاصطلاحات الدخيلة على آدابنا، ونرى انه
مهما بلغ اعجاب الكتاب العرب بآراء المفكرين أو الادباء الغربيين،
فانه لا يبرر ان نتعسف في تحكيم آرائهم في ادبنا المحلي، لأن تراثنا
يختلف اختلافا كبيرا عن تراث الغرب . . ولأن أدبنا العربى له تاريخه
ومزاجه ولغته واسلوبه . . ولأن مشاكلنا الادبية غير معروفة في
آدابهم، ولان ظروفنا في الوطن العربى تختلف عن ظروف الغرب
الذي بات يتحلل يوما بعد يوم من روحيته! وإذن فعلينا ان نتخذ
لأنفسنا حماية تقينا ما في هذا الادب الوافد من شرور لتصفو لنا فوائده
ومزاياه بعيدا عن النقل المتعسف عن كتاب غربيين لا جذور لنفسياتهم
في ارضنا العربية . .

هذا ما تنصح به الدكتورة نازك الملائكة .

فهل ينتصح شباب الادب في بلادنا، ويعودوا من قريب الى
تاريخهم وتراثهم، واعلام فكرهم العربى الاسلامي؟(١)

(١) صفحة ٤٨ من الصحافة في نصف عمود .

رفعه للحادثة

وانطلاقاً من تمسكه بمنهج الادب الاسلامي القائم على المبادئ الفكرية والاصول الفنية التي سلف ذكرها . كان موقفه الرافض لمحاولات الافلات من اوزان الشعر العربي وقوافيه مما ادى الى ظهور الوان من قصائد النثر المتهاففة وامتلاء ساحة الشعر العربي الحديث بهذا الفيض من الهراء الشعري الذي وصف ناظميه أديب العربية الاستاذ عباس محمود العقاد «بالمفلسين» ويضيف الى وصفهم بالافلاس انهم جهلة عاجزون وهو يقصد المتقيين بالشعر الحر^(١)

وتتناثر هذه الآراء والنظرات النقدية الجريئة لظاهرة الشعر الحر في مختلف ثنايا كتابه (أدب وادباء) ومن بينها مقالته حول مهرجان الشعر العربي وتعليقه على رسالة صديقه الاديب اللبناني محمد اديب غالب الذي يعقب على كلام الحداثي «شوقي بزيع» فيقول :

هكذا يتحدث شوقي بزيع عن تلك الجرثومة المتعاطمة في شعر الصعلكة الحديثة التي اقل ما يقال عنها انه كانت هنالك اتهامات كثيرة توجه الى شعراء النثر ثم جاءت حصيلة هذا الشعر طيلة نصف قرن لتثبت ان الجرثومة التي كان اول من نقلها من العرب الينا امين الريحاني هي من نوع استسهال بعض الاشكال من الكتابة وعدم الانضباط باى ايقاع وهو مناخ تعبيرى منقول حرفياً بغير مفهومه من ثقافة الغرب . الغرب الذي من اولى رسالاته تفتيت البنية الميراثية من التراث العربي وفي مقدمتها البلاغة القرآنية ذات الاعجاز البياني الذي لا نظير له^(٢) .

(١) صفحة ١٢٨ . ١٢٩ من مقائله نظم لشعر ليس قيدا (أدب وأداء) .

(٢) ص ١٣٦ . ١٣٧ من كتابه (أدب وأداء) .

دفاعه عن اللغة العربية

لما كانت اللغة العربية لغة القرآن العظيم كلام الله الموحى به الى خاتم انبيائه محمد صلى الله عليه وسلم لذلك فقد حفظها من التغيير والتبديل والانقراض والزوال كما زالت لغات كثيرة على امتداد التاريخ الانساني .

ولا غرو ان نرى مؤامرات اعداء الاسلام وأتباعهم من الكتاب العرب من يتهمها بالقصور والعجز عن الوفاء بالفاظ الحضارة ومقتضيات التطور الاجتماعى والعلمى والتكنولوجى في حياتنا الحديثة فطالبوا بتبسيط كتابتها وقواعد نحوها وحروفها واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية الى آخر ما عرفناه من دعوات هدامة ترمى الى النيل من قدرة اللغة العربية على التعبير الواضح عن مكنونات النفس الانسانية ومستحدثات علوم العصر وحضارته التكنولوجية المعقدة .

ومن اجل ذلك نرى الادباء الاسلاميين وقادة الفكر العربى الحديث من امثال مصطفى صادق الرافعى وعباس محمود العقاد وعبد الوهاب عزام واحمد حسن الزيات ومحمود تيمور وسيد قطب وانور الجندى واحمد محمد جمال ممن تصدى بقوة وضراوة واصرار لحملات التشكيك ضد لغة القرآن كتابة وحديثا ونحوا وصرفا وتعبيرا عن مختلف مبتكرات الحضارة الحديثة وواجه النشاط الانسانى المختلفة .

ولقد احسن الشاعر العربى الكبير حافظ ابراهيم في رائعته الشعرية المؤثرة التى انطق فيها لغة العرب تتحدى محاولات التطاول عليها

والنيل من اعجازها اللغوى والبياني فترد على خصوصها قائلة :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وماضقت عن آي به وعظمت
فكيف اضيق اليوم عن وصف آله
وتنسيق اسماء لمخترعات
انا البحر في احشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى
ومنكم وان عز الدواء أساتي
فلا تكلونى للزمان فإننى
أخاف عليكم أن تحين وفاتى

ولقد رزق الله العربية الفصحى من ابنائها الميامين من يتصدى لهذه الحملات المشبوهة بالتفنيد ومقارعة الحجة بالحجة واستخدام اساليب المنطق وطرائق الجدل والمناظرة في ايضاح الاخطاء والاغاليط التى وقع فيها اعداء اللغة العربية من المستشرقين وتلاميذهم من الكتاب العرب المستغربين كسلامة موسى ولويس عوض وغالى شكرى وادونيس وغيرهم ممن دعا الى استخدام العامية في مجال الكتابة والبحث العلمى لقدرتها على التجاوب - في نظرهم - على حسن التعبير عن مشاعر النفس الانسانية ومتطلبات العلم الحديث، وليس غريبا ان تجد الاديب الاسلامي احمد محمد جمال ينبرى لهذه الفئات المختلفة من الكتاب العرب ذوى الفكر العلمانى المنحرف بفكره النير وحامسه الشديد وقلمه السيل يهاجمهم ويرد عليهم في مقالاته الآتية : «يجب ان

نتعصب للغتنا العربية»^(١) «طه حسين يتأمر على اللغة العربية»^(٢)
«حول محنة اللغة العربية»^(٣) «عندما يكون التقليد اعمى واعور»^(٤)
«من اعداء اللغة العربية»^(٥) .

ولم ينس الاديب الاسلامي الجهد الاستاذ احمد محمد جمال في غمرة
دفاعه عن اللغة العربية قضية تعريب العلوم الطبية والنظرية والتطبيقية
فقد ناضل عنها واكد قدرة هذه اللغة على الوفاء بدقائق علوم الطب
ومبادئ النظرية والعملية مستشهدا باليابان والمانيا اللذين يقومان
بتدريسه بلغتهما القومية رغم انهما دولتان محدودتان بمكانهما وخاصتان
بأمتها في حين تمتد حدود اللغة العربية بعيدا جدا عبر مساحة واسعة
جدا خلال العالم العربى والعالم الاسلامي ايضا .^(٦)

وليت اخوتنا المسؤولين عن شؤون التعليم العالى في جامعاتنا
العربية والاسلامية ان يصيخوا سمعهم ويعملوا عقولهم فيما اتخذه
عمداء كليات الطب في العالم العربى في مؤتمرهم الذي انعقد في عمان
عام ١٤٠٣ هجرية - ١٩٨٣ م من قرار ينص على ضرورة تعليم الطب
باللغة العربية واوصوا باتخاذ الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف .^(٧)

ولخطورة هذه القضية التى تتصل بمستقبل الاجيال العربية
الصاعدة ووجوب اعدادها للدخول في عصر ثورة المعلومات وتفجر
المعارف التى تسود عالمنا المعاصر فقد كرس مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(١) صفحة ١٤٥ من كتاب ادب وادباء .

(٢) صفحة ١٦٠ من المرجع السابق .

(٣) صفحة ١٦٢ ، ١٦٣ من المرجع السابق .

(٤) صفحة ١٦٦ من المرجع السابق .

(٥) صفحة ١٦٧ ، ١٦٨ من المرجع السابق .

(٦) صفحة ١٤٨ من المرجع السابق .

(٧) في مقاله (تعليم الطب واجب اسلامي) من كدبه ادب وأدباء ص ١٤٨ .

دورته الثامنة والخمسين التي انعقدت في رجب من عام اثني عشر
واربعمائة والف هجرية لنقاش قضية تعريب التعليم الجامعي في الوطن
العربي باسهاب واوصى بوجوب الاسراع في ذلك لان استعمار اللغة
في نظر قادة الفكر العربي المعاصر اخطر من الاستعمار العسكري كما انه
عائق لنمو اللغة وتطور مقدرات اهلها الفكرية والثقافية والاجتماعية
والاقتصادية.

دفاعه عن القرآن والسنة النبوية الشريفة

لا يخفى على الدارس للتراث الادبى للاستاذ احمد محمد جمال انه قد خلف ثروة فكرية بالغة الثراء في حقل الدراسات القرآنية والسنة النبوية المطهرة منذ ان ترك الشعر عامدا واتجه بكل طاقاته العقلية والشعورية المذخورة في اعماق نفسه الى الينابيع الثرة في القرآن والحديث النبوي الشريف ينهل منها ما استطاع الى ذلك سبيلا فأمدده ذلك بروافد فكرية خصبة اضفت على ثقافته العامة وشخصيته الانسانية ابعادا من العمق والسعة والشمول ورهافة الحس وسلامة الذوق ونبل السلوك وتجلى ذلك واضحا فيما خلفه من كتب ودراسات اندرجت تحت المسار الفكرى والدعوى الذي سبقت الاشارة اليه بصورة اجمالية .

وليس من غرضى في هذا البحث ان اغوص في دقائق هذا التيار الفكرى الذي اوغل فيه الاستاذ احمد محمد جمال بقوة واقتدار استاذنا جامعيا يفسر لطلابه اسرار التنزيل ومعانى القرآن أو كاتبنا نابها قوى الاسلوب ناصع الحجة مرموق المكانة في صحفنا ومجلاتنا العربية والاسلامية المختلفة مما جعله احد رموز الصحوة الاسلامية المباركة في عالم الاسلام اليوم .

وانما هي اشارات عابرة الى بعض انتاجه الكتائبي المبثوث في ثنايا مؤلفه عن الادب والادباء حيث رد على «طه حسين وقصة زينب»^(١)

(١) صفحة ١٣٥ من كتاب أدب وأدب .

و«ما لا يليق بالكتاب المسلمين»^(١) و«تشابه الاسماء»^(٢).

وفي هذه الاخيرة يوضح الفرق بين الدكتور محمد خلف الله احمد عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية سابقا وبين الدكتور محمد احمد خلف الله صاحب كتاب «الفن القصصى في القرآن الذي كان ابعده فيه عن الحق والصدق وابعده عن فهم القرآن وابعده عن التأدب مع كلام الله عز وجل ومع انبيائه ورسله وقد تناولته في كتابي بما يستحق من التأديب»^(٣).

ومن الخير كل الخير لمن يريد التوسع في دراسة هذا الاتجاه من التراث الفكرى لكاتبنا الاسلامي الاصيل ان يرجع الى كتابه القيم «مع المفسرين والكتاب» الذي ابدل اسمه فيما بعد ليصبح «القرآن كتاب احكمت آياته» «بجزئية الكبريين اللذين تناول فيها بعض آراء أئمة الفكر العربى والاسلامي في تفسير القرآن بالدراسة والنقد والتصحيح فقد كانوا اصحابه واحبائه واهل وده»^(٤)

أما عن السنة النبوية الكريمة فان احمد محمد جمال كان مجليا في دفاعه عن الحديث النبوى باعتباره الركن الثاني في التشريع الاسلامي ولهذا تصدى لمشكلات تدوينها ومقاييس الصحة والحسن والتضعيف فيها وقدم لطلابه ومحبيه الوانا من الدروس والآداب الاجتماعية التى يستخلصها بثاقب نظره وعميق فكره من الدروس الاسبوعية التى كان يلقيها على رواد المسجد وكان محورها حديثا مختارا من روائع كلم النبي

(١) صفحة ١٣٧ من المرجع السابق .

(٢) صفحة ١٣٩ من المرجع السابق .

(٣) صفحة ١٣٩ ، ١٤٠ من كتاب أدب وأدباء .

(٤) صفحة ١٣٩ من المرجع السابق

المجتبى وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم يحلوه بأسلوبه المشرق وطريقته السهلة الموجزة ليصل الى الهدف المنشود منه .

ولقد احسن نادى مكة الثقافى الادبى باصدار تلك الاحاديث الرائعة بعد وفاة صاحبها في كتاب أنيق اطلق عليه مؤلفه عنوان «في مدرسة النبوة» ولم يتح له ان يرى النور الا بعد وفاة مؤلفه رحمه الله واسكنه فسيح جناته .

ويكفى الاستاذ احمد محمد جمال مقالته عنه اديب العربية الكبير الاستاذ على الطنطاوى في الرسالة التى وجهها اليه في غرة شعبان ١٣٨٤ هجرية قائلاً فيها :

فانا اعرفك ياأخى اديبا وكاتبا ولكن عرفتكَ اليوم عالما وجدت في مكتبة كلية الشريعة كتابك «مع المفسرين والكتاب» فوجدت فيه من الفقه لكتاب الله والوقوف على اسراره وادراك مقاصد الشريعة ما لا اجد مثله عند كثير ممن يتصدرون اليوم في التفسير ويعدون من كبار العلماء أي والله . (١)

(١) صفحة ٢٦٣ من كتابه (الصحافة في نصف عمود) الطبعة الاولى ١٤١٢هـ

دفاعه عن قضايا امته العربية والإسلامية

لا جدال في ان الاستاذ احمد محمد جمال قد ادرك وظيفة الاديوب المسلم في الحياة أتم ادراك فعمل على تسخير ادبه وفكره وطاقتاه العقلية والوجدانية في خدمة عقيدته الاسلامية والذود عن تصوراتها في الكون والحياة والانسان وعلاقته بربه والآخرين من حوله والدعوة الى اقامة مجتمع اسلامي فاضل تقوم دعائمه على الحق والخير والعدل والكرامة في عالم اليوم .

ومن اجل ذلك انبرى منذ مطلع شبابه لاي انحراف فكري واجتماعي وسياسي وتربوي واقتصادي يمس حياة شعوب امته العربية والاسلامية وليس غريبا ان تحتل هموم هذه الامة بؤرة تفكيره ومركز نشاطه العقلي ومدار جهاده الكتابي فيشن هجوما عنيفا على الاستعمار العسكري والغزو الفكري والاستلاب الحضاري الذي تتعرض له شعوب امته العربية والاسلامية من قوى البغي والعدوان الغربي والصهيوني لتظل عاجزة عن التحرك في مسار النهوض الصحيح وتظل دائرة في فلك التبعية والتغرب عن ميراثها الفكري والحضاري النابع من عقيدة الاسلام وحضارته .

واستمر على هذا النهج الفكري الواضح يذب بقلمه ولسانه وكل ما أوتى من حسن بيان وسعة ادراك وقوة اخلاص عن مرتكزات فكر الاسلام وتأصيل ثقافته وتشريعاته ونظم حضارته لا على المستوى الوطني فحسب وانما تعداه الى مستوى الوطن العربي والاسلامي الكبير .

ولعل اهم القضايا التي احتلت اهتمامه القوى قضية فلسطين التي يعتبرها قضية المسلمين الكبرى التي كتب عنها الكثير والكثير جدا (١).
كما ان غيرها من مآسى المسلمين وهمومهم السياسية والاقتصادية وتخلفهم الحضارى قد استأثرت بنصيب كبير في مقالاته وكتاباته الاجتماعية والادبية والسياسية التي اندرجت تحت التيارات الفكرية الثلاثة التي اوضحناها في بداية هذه الدراسة والتي خلف فيها كاتبنا الاسلامي المبدع ما لا يقل عن تسعة عشر كتابا تفيض بالوان النقد والهجوم والدفاع لمظاهر الحياة العقلية والتربوية والسياسية والاجتماعية والعسكرية في مختلف اقطار الوطن العربى والاسلامي التي عانت - وماتزال - تعاني من مخاطر الغزو العسكرى والفكرى والاقتصادى والسياسى من قوى الصليبية العالمية والصهيونية العالمية والهندوكية المجوسية التي وحدث قواها لايقاف زحف حركة الصحوة الاسلامية المتنامية في مختلف اقطار المعمورة.

ولعل مقالة الاستاذ احمد محمد جمال المعنونة «فلسطين لا تعود بالدعاء» التي انقلها الى القارىء الكريم بنصها الموجز الآتى :
(. . اللهم اهلك اليهود . . اللهم شتت شملهم . . اللهم رمل نساءهم ، اللهم يتم اطفالهم ، اللهم اضرب عليهم الذلة والمسكنة ، اللهم ابعث عليهم من يسومهم سوء العذاب) .
هذه هي دعواتنا بعد كل صلاة جماعة بالمسجد الحرام ، منذ نشوب الحرب في فلسطين الى ان قامت الهدنة الاولى بيننا وبين اليهود ، ثم

(١) انظر كتابه «مأساة السياسة العربية» الذي يصور فيه تحدياتها وانعكاساتها على مختلف الأصعدة العربية .

استأنفنا القتال ثانية وظللنا ندعوها. حتى قامت الهدنة الثانية، ولا تزال قائمة الى اجل غير مسمى ولا نزال نحن ندعو ايضا، بهذه الدعوات بعد كل صلاة، عندما يصلى بنا إمام، وننقطع عن الدعاء حين يصلى بنا إمام آخر، فترى بعضنا راکعاً، وآخر ساجداً، وثالثاً بين الركوع والسجود . . . مضطربين حائرين لا ندري متى نقنت، ومتى لا نقنت؟

ويخطيء بعض المبلغين في بعض اركان المسجد الحرام، فيكبرون للسجود، فتسجد الصفوف الاخيرة والامام قائم!

وهذا ملحظ يجب ان نقول - عنده - لهؤلاء الناس الذين لا ينتظرون الامام حتى يقعد فيقعدوا، وحتى يقوم فيقوموا، ولهؤلاء المبلغين المستعجلين: انما جعل الامام ليؤتم به سجوداً وركوعاً، وقياماً وقعوداً، فيجب الا يبدءوا بعمل من اعمال الصلاة حتى يبدأ هو بها اولاً.

وملحظ آخر يجب ان نقول - عنده - ان على أئمتنا الفضلاء ان يعينوا صلاة واحدة كصلاة العشاء مثلاً - لدعاء القنوت حتى يستقر في أذهان المؤمنين ميقاتها فلا يخطئوا بسبق الامام الى السجود.

نقول هذا ونحن نعلم والائمة الفضلاء يعلمون معنا ان قضية فلسطين لا تحل بالدعاء وحده، الدعاء الذي يضطرب فيه المصلون . . فان الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فعلينا قبل ان ندعوا الى تشتيت اليهود، ألا نعبأ بتهديدات مجلس الامن الدولي ومراوغات المراقبين الذين دلت سياستهم في فلسطين على التحيز مع اليهود.

ثم مامعنى ان ندعوا على اليهود بدعوات قد قضاهها الله عليهم،
وسجلها لهم في القرآن الكريم، من ضرب الذلة والمسكنة عليهم،
وبعث من يسومهم سوء العذاب اليهم؟ (١)

تصور اصدق تصوير ماجبل عليه كاتبنا الاسلامي القدير من حب
للصراحة والوضوح والاخلاص والنصح لله ولكتابه ولرسوله وأئمة
المسلمين وعامتهم لا يبقى من وراء ذلك مغنما عاجلا ولا سمعة زائفة
ولا نفاقا اجتماعيا يتسلق به الى ذروة المناصب في الدنيا وانما هو
الاخلاص اعظم الاخلاص لنداء فطرة الاسلام المركوزة في اعماق
وجدانه الانساني .

وليس لى مااقوله في ختام هذه الدراسة الا ان اطلب من رابطة
الأدب الاسلامي العالمية التي يرأسها سماحة المفكر الاسلامي الكبير
الشيخ ابي الحسن على الحسنى الندوى اقامة احتفال لتكريم ذكرى احد
اعضاءها المبرزين في مختلف فنون الادب الاسلامي أسوة بما قامت به
من تكريم للكاتب القصصي الكبير الدكتور نجيب الكيلانى في رحاب
المركز العام لجمعيات الشباب المسلمين بالقاهرة في شهر شعبان الماضى
من عام ١٤١٥ هجرية .

فان احمد محمد جمال من الرواد الاوائل الذين دعوا الى التزام منهج
الادب الاسلامي منذ مطلع شبابه حتى اتاه اليقين وهو يرفع الصوت
عاليا عن ازمة الفكر الاسلامي المعاصر وعن ضروب التحديات
والوان المشكلات التى اعترضت مسيرة وطنه العربى ثم الوطن
الاسلامي الكبير من قبل اعدائهما في الداخل والخارج .

(١) صفحة ٢٢٨ من كتابه الصحافة في نصف عمود .

18

وهذا اقل ماينبغي في حق هذا الكاتب الانسان الغيور الذي عمل
جاهدا على تطبيق مقولة رسول الاسلام العظيم محمد صلى الله عليه
وسلم في حديثه المشهور : «تركتم فيكم ما ان تمسكنم بهما لن تضلوا
بعدي ابدا كتاب الله وستى» .

تلك ملامح سريعة من المسار الأدبي لأدينا الإسلامي الجهير أحمد
محمد جمال الذي عرفته دوائر الصحافة ومنتديات الفكر ومؤسسات
الثقافة ومنابر الإعلام ومعاهد التعليم كاتباً وأديباً وناقداً واستاذاً
جامعياً قديراً وداعياً إلى تطبيق شريعة الإسلام ومناهجه في الحياة
والفكر والسلوك أجملتها في هذه الصفحات القلائل لجمهرة الشباب
والمتقنين من أبناء الصحوة الإسلامية ، راجياً أن تجد المسارات الفكرية
الثلاثة الأخرى من اجتماعية وسياسية ودعوية في التراث العقلي
الخصب الذي خلفه أحمد محمد جمال من اهتمام الباحثين في قضايا الفكر
الإسلامي المعاصر مايجلوه لهم ويبين عن خصائصه الفنية ومضامينه
ومناهجه وأثره الفاعل في بلورة صورة الأدب الإسلامي في مختلف
أشكاله وقضاياه وأبعاده الثقافية والتربوية والفنية .

وتلك أمنية غالية أرجو أن يفرغ لها طلاب الدراسات العليا في
أقسام الدراسات الإسلامية والأدبية في جامعاتنا الفتية في المستقبل إن
شاء الله وما ذلك عليهم بعزيز ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

محسن أحمد باروم

أحمد محمد جمال

رفيق صباي وشيخوختي

**بقلم اللواء علي زين العابدين
مكة المكرمة**



الفصل الثاني :

- رفيق صباي وشيخوختي .
- نشاطه وكتبه ومؤلفاته .
- شعره وأدبه .
- آراؤه الصريحة .
- شخصيته الإسلامية الفذة .

رفيق صباي وشيخوختي

بقلم : اللواء على زين العابدين^(١)

هو الكاتب الاسلامي الكبير، والشاعر المجيد، والصحفي الناجح، والاديب الالمع، والمؤلف الناضج، العالم المدرس الجامعي علم من اعلام البلاد العربية والاسلامية، ظهر في القرن الرابع عشر وهو اليوم في القرن الخامس عشر، مخضرم بين قرنين، رحمه الله، وبارك في علمه، ونفع به المسترشدين المستزيدين.

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٣ هجرية ونشأ بها، ودرس في مدارسها حتى المعهد العلمي سنة ١٣٥٩ هجرية.

هو : : احمد بن محمد بن صالح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحمن بن عثمان بن عارف بن محمد جمال ويرتفع نسبه الى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. كما روى ذلك الشيخ عبد الستار الدهلوى رحمه الله في كتابه المخطوط «الازهار الطيبة النشر عن الابعان في كل عصر» الموجود حاليا بمكتبة الحرم المكي.

وأسرة جمال من الاسر العريقة المكية، وبيتهم بيت علم وفضل وإمامة بمقام الحنفى، كما جاء في «نشر النور والزهر» للشيخ عبدالله بن عبد القادر مرداد رحمه الله.

كان اجداده من علماء المسجد الحرام وفقهائه الذين تولوا التدريس

(١) من أعز أصدقاء الفقيد ورميل شبانه وشيخوخته

فيه ، واشهرهم كان الشيخ عارف بن محمد جمال «المتوفى عام ١١٦٣»
ثم الشيخ عبد الرحمن بن جمال الكبير بن عثمان ابن العلامة عارف جمال
«المتوفى سنة ١٢٤٩ هجرية» ثم الشيخ عبد الرحمن بن عثمان ابن العلامة
عبد الرحمن جمال «المتوفى سنة ١٢٩٠» «نفس المصدر» .

نشأ الاستاذ احمد محمد جمال في رعاية والده الشيخ محمد بن صالح
جمال ، التاجر المعروف بشارع المسعى ، وكان يتولى توجيهه وتأديبه
اخوه الاكبر الاستاذ صالح جمال رحمه الله ، وهو الغني عن التعريف
كانت النشأة في بيت محافظ على القيم الاسلامية ، والتقاليد
الاجتماعية ، في مكة المكرمة ، بلد الله الحرام ، كان اخوه - صالح -
صاحب مكتبة الثقافة بباب السلام ، وكانت المكتبة حافلة بالكتب
الدينية والادبية والاجتماعية والسياسية ، كما كانت منارا للصحوة
الادبية في مصر ، والبلدان العربية وبالمجلات ، وفي مقدمة تلك
المجلات مجلة «الرسالة» وكان من بين كتابها الدكتور طه حسين ،
والدكتور زكى مبارك والاستاذ الكبير على الطنطاوى ، والحفيف ،
وغير هؤلاء من اساطين الادب في العالم العربى ، وكانت مجلة
«المقتطف» الحافلة بالعلم والادب توزع في مكتبة الثقافة ، إلى جانب
المجلات الأخرى كـ «الاثنين» و «آخر ساعة» و «المصور» .

محور هذا الحديث هو شقيق صاحب المكتبة الطالب الابتدائى ، ثم
المعهدى ، احمد محمد جمال ، كان هذا الطالب يلتهم الكتب التهاما ،
وينكب على قراءة المجلات الادبية انكباً ، وقد كان الكثير من الشباب
يعجزون عن شراء كتاب او مجلة ، اذ تبلغ القيمة للكتاب او المجلة
نصف ريال ، او ثلاثة ارباع الريال . ولكن صاحبنا احمد كان معافى من

ذلك العجز ، فالكتب الادبية والمجلات في مكتبة اخيه الذي يحرص على تثقيفه وتعليمه .

ما حال شاب في مقتبل العمر ، يقرأ الادب في كبريات المجلات ، وينهل العلم من مناهله سهلا ميسورا ، لابد ان يكون على سعة من الاطلاع ، تجعله يفوق الكثيرين من أقرانه ولداته .

تعرفت على هذا الشاب الاديب ، احمد محمد جمال في الحرم المكي الشريف ، في حصوة باب السلام عام ١٣٥٩ هـ ، أذ صحبني الصديق الزميل عبد العزيز الربيع (١) ، ذات يوم ، قائلا ، سأعرفك بصديق جديد ، وتم التعارف في دقائق ، فقد كان الصديق الجديد : باسم الوجه ، طلق المحيا ، ترسم الابتسامة البريئة على شفثيه ، رحب بي مسلما ، واخذت مكاني الى جواره ، وعبد العزيز الربيع يقدمني اليه . واكتشفت في الصديق الجديد شاعرا موهوبا ، بليغ العبارة ، سلس الاسلوب ، عذب الالفاظ ، عميق المعاني ، واسع الثقافة ، على صغر سنه ، محتشما حيا مؤدبا .

كنت في السنة الاولى بمدرسة تحضير البعثات ، وكان الصديق الجديد في السنة الاولى من المعهد العلمي ، وكانت سنة الميلاد لكل منا واحدة هي ١٣٤٣ هجرية .

العمر متساو ، والميول متفقة ، والبيئة ملتزمة ، فلم لا يتفق الاثنان ؟ ولم لا تنشأ بينهما صداقة استمرت من عام ١٣٥٩ حتى يومنا هذا - فروحه الطاهرة مازالت معي صديقة حميمة .

(١) عبد العزيز الربيع رحمه الله من رجال النعشم ومن أدباء المملكة العربية السعودية كان مديراً للتعليم في المدينة المنورة .

فماذا عرفت في هذا الصديق الجديد احمد محمد جمال، طيلة هذه الحقبة الطويلة من الزمن؟ وحتى يوم وفاته رحمه الله.

كان أحمد جمال شاب مستقيم الخلق والسيرة والسلوك، ليس كغيره من عامة الشباب، لم يكن صائعا ولا ضائعا، لم يكن من المتسكعين في الحارات، يلعبون في الازقة، يتعرضون لاذى من لا اخلاق لهم من الناس، كان مصونا في أسرته التي حددت له غدوه ورواحه، من الدار الى المدرسة صباحا، ومن الدار الى الحرم مساء، لا انطلاق ولا انفلات، فعمره إذ ذاك كان في السادسة عشر، سن المراهقة التي يجب ان يحافظ فيها على سلوك الاولاد، فهي السنة التي يحدث فيه الانحراف، اذا لم يضبط السلوك في بدايتها.

كنت كمثلته في هذا البرنامج اليومي: صباحا في المدرسة، ومساء مع احمد محمد جمال، اذهب الى داره في الساعة الحادية عشرة نهارا^(١)، أي قبل المغرب بساعة، ونجلس في غرفة في الدور الارضى من المنزل، نشرب فنجانا من الشاي، نتدارس اللغة العربية، نستعرض ماكتبه الاستاذ احمد حسن الزيات في افتتاحية «الرسالة» وما اجمل وابلغ ماكان يكتبه الزيات، نستعرض اسلوب زكي مبارك اللاذع الساخر. يلزم فلانا، ويغمز آخر، ولشد ماكان يعنف في مقالاته الدكتور طه حسين، ويوقع مقالاته الناقدة او الثائرة الموجهة لطله حسين: تلميذك وزميلك وصديقك الدكاترة زكي مبارك.

نقرأ شعر «الخفيف» وكان خفيف الظل كأسم صاحبه، وشعر محمد حسن اسماعيل، نقرأ في «المصور» او نناقش ماكتبه فكرى اباطة،

(١) حسب التوقيت الغروي الذي كان سائد آنذاك قبل تغييره للتوقيت الزواي . .

وما كان يقترحه في أسلوبه القوى المرح، وأحيانا نتطارح الشعر، أو نتساجله، حتى تمضى الساعة ويحين وقت صلاة المغرب، وكانت دار أخى أحمد جمال في المسعى، تقابل «باب السلام» بانحراف غير بعيد، نتجه معا إلى الحرم، نصلى المغرب، نطوف سبعا، نعود إلى مجلسنا في حصوة باب السلام، حيث يستمر حديث الأدب عما كتب في الصحف المحلية، ولم تكن إذ ذاك إلا جريدة «صوت الحجاز» الأسبوعية، و«أم القرى» وجريدة «المدينة المنورة» في سنتها الثالثة، وكانت أسبوعية -أيضا- كان سعر العدد من تلك الجرائد قرشا واحدا «أثبت هذه للمقارنة والذكرى».

أحيانا يمر بنا صديقنا الثالث عبد العزيز الربيع، يشاركنا المجلس الأدبي، وكان عبد العزيز الربيع حجة في اللغة العربية، صرفها وقواعدها، وبلاغتها، كان كثير الاطلاع واسع المعرفة. وفي بعض الأحيان نحظى بالضيف الرابع عبد العزيز منصورى، وهو زميل في الدراسة، نجل استاذ اللغة العربية الاستاذ صدقة منصورى، وعلى مقربة منا في الحصوة المجاورة يتربع شاب اسمر اللون، وسيم الملامح، يجلس وحيدا منعزلا عن الناس اجمعين، وتم التعارف بيننا وبينه، كان ذلك الشاب هو الشاعر حسن عبدالله القرشى، وكان -أيضا- في بدايته الشعرية، ولكنه لم ينضم إلى الثنائى الاخوى أحمد وعلى، هذا الثنائى الذي لا يتغيب يوما ولا ينقسم هذا الثنائى يكون ثلاثيا بانضمام عبد العزيز الربيع، مرة أو مرتين في الأسبوع.

ويكون هذا الثنائى -أيضا- رباعيا في عصاري أيام الجمع عندما يجتمع: أحمد، وعلى، وعبد العزيز الربيع، وعبد العزيز منصورى،

لنخرج صحبة الى حديقة المسفلة^(١)، حيث كانت مخضرة زاهية نظرة تبهج النفوس، وتشرح الصدور بجمال منظرها، فهي واحة في صحراء .
 كان الشاعر المبدع الاستاذ حمزة شحاتة وجماعته، القنديل^(٢) والمغربي^(٣) وهم من الرعيل الاول يجلسون كجلستنا بعيدا عنا، نرقبهم ونشهدهم ونتمنى ان نكون - ذات يوم - امثالهم في الشعر والادب والشهرة، كانت حديقة المسفلة متنزّه اهل مكة تلك الايام، وكان يقصدها كثير من شباب مكة في ايام الجمع، نشرب الشاي، ونتنشق النسيم العليل، وتبادل احاديث الادب، حتى يحل وقت صلاة المغرب، فنصلي جماعة، ثم نعود الى الحرم، لنذكر صلاة العشاء، ثم ينصرف كل منا الى داره، هذا جانب من بيئة احمد جمال في حياة لا هو فيها ولا عبث، لا انطلاق ولا ابتذال، يحوط ثلاثة اصدقاء، كل منهم له اخلاقه ومميزاته الشخصية المتوائمة مع اخلاق صديقهم الرابع احمد جمال .

كان له من الزملاء في المعهد، وتحضير البعثات، نفر آخرون عرفوا بحسن سلوكهم، وميولهم الادبية، كالشاعر المبدع سراج خراز، والشاعر المطبوع سراج مفتى، والشاعر والاديب عبد العزيز الرفاعي، والشاعر عبد القادر جان، وامثالهم ممن غابت عن ذاكرتي اسمائهم، كان احمد جمال يلتقي بهم في المدرسة، واحيانا في مناسبات، وكان هؤلاء صفوة طيبة من الزملاء الذين يمثلون جانبا آخر من بيئة احمد جمال .

(١) حديقة المسفلة في أسفل مكة جهة كدي كنت متنزّها .

(٢) هو الشاعر السعودي احمد قنديل - رحمه الله - .

(٣) والمغربي هو الاديب رحل الأعمال الشيخ محمد علي مغربي أمد الله في عمره .

كانت لهذه المجموعة الطيبة ومعها آخرون تصدر مجلات دورية مخطوطة باليد في مقدمتها «رسالة الناشئة» التي يحررها اخي احمد، وصديقي عبد العزيز الربيع، و«صوت النشء» التي يحررها الصديق والزميل محمد حسن غسال، والمجلة المثالية «الفجر» يصدرها ويرأس تحريرها الشاعر الاديب الرقيق الزميل ابراهيم فودة، ومجلة «الفضيلة» التي كنت اتولى اصدارها وتحريرها.

كان اخي احمد من رواد هذا العمل الادبي الجريء، وكان تارة يكتب افتتاحية مجلة «رسالة الناشئة» وطورا يكتبها الاديب اللوذعي عبد العزيز الربيع، ثم قمت شخصيا بكتابة الافتتاحية، بعد ان تحلى كل من الزميلين الرائدان احمد والربيع عن ذلك.

كنا نستمع الى احمد جمال شاعرا يتغنى بقصائده في النادي الادبي، وكل خميس في القلعة مجمع تحضير البعثات والمعهد العلمي، كان احمد شاعرا مجيدا بليغا في صياغة الشعر - كما اسلفت - وكانت قصائده تقابل بالاستحسان والتصفيق.

ولا احمد جمال كنا نقرأ مقالات ادبية دبجها يراعه السيال على صفحات جريدة «صوت الحجاز» تارة باسمه الصريح، وطورا باسمه الرمزي «الفتى المعهدى» وكان لمقالاته كثير من القراء من مثقفي الجمهور يشار اليه بالبنان كلما سار في طريق «هذا هو الفتى» كان ذلك وأدينا الصغير سنا الكبير فعلا وعلمنا وادبا لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره - يرحمه الله .

وترك ادينا الدراسة لينخرط في سلك الوظائف، فبدأ اول مابداً بوظيفة في رئاسة القضاة بمكة في المحكمة الشرعية، ثم إدارة كاتب

عدل، تقلب في هذا الدوائر القضائية لمدة عشر سنوات، لابد انها أثرت في اتجاهاته الادبية، فنقلتها من الادب والشعر الى الاتجاه الاسلامي الدينى الذي حول شاعرنا الى كاتب اسلامى، يتغنى بالاسلام وامجاده، وبالدين وارشاده، يوجه الناس الى طريق العزة الاسلامية، والفضائل المحمدية، وشاء الله تعالى له ماشاء من ترك مانفعه محدود الى مافيه خير ورفعة وسؤدد ورشاد وهداية من دين رب العالمين، وهدى رسوله الامين.

وفي عام ١٣٧٠ هجرية انتقل من هذا الوسط الدينى الى وسط علمي بوزارة الداخلية مديرا مساعدا لادارة الثقافة والتعليم.

إنها حكمة الله عز وجل شاءت ان ينتقل هذا الرجل الذي صقله الوسط الدينى وترك بصماته على ثقافته وميوله واتجاهاته، وحوله من كاتب شاعر الى عالم متفقه ماهر، شاءت الحكمة الالهية لهذا الرجل ان ينتقل الى وسط ثقافي تعليمي، كأنها أعد في الوسط الاول ليكون عالما وفي الوسط الثاني ليكون معلما وموجها، ولا شك ان هذا الوسط الثقافي أثر تأثيراً آخر في تكوين شخصية اديبنا وعالمنا الكبير، فخرج بخبرة المعلم والموجه، ليكون له شأن آخر ورسالة اخرى في حياته وحياة امته الاسلامية.

وتدخل حكمة الله مرة اخرى، في توجيه هذا الرجل، واعداده إعدادا جديدا، ليكون مديرا لادارة الجوازات والجنسية بنفس الوزارة التى عمل بها، قد يقول قائل: وما هي الخبرة التى يستفيد منها رجل اعد إعدادا اسلاميا ودينيا وثقافيا وتعليميا حينها ينقل عمله الى إدارة الجوازات والجنسية؟ فأقول: ان إدارة الجوازات والجنسية تزخر

باصناف البشر من مواطنين ومستوطنين ووافدين مختلفي الجنسيات والنزعات والنيات والثقافات والطموحات ، ان المدير العام لهذه الادارة سيحتك بكل هذه الطوائف المتباينة سيطلع على هوياتهم وطلباتهم .

وسيستمع الى احاديثهم سيستشف حقائق عن سلوكياتهم ، ويفيد خبرة في فهم فئات من الناس ، فيتحقق له من ذلك معرفة من يستحق ان يبقى في البلاد مقيما عاملا ومن يستحقه ان ينفي من الارض ، ومن طالبي الجوازات من المواطنين يتعرف على البلدان التي يريدون زيارتها ومن ذلك يدرك نوعية المواطن اذا كان مسافرا المغنم او مغرم فاذا كان من النوع الثاني فهو مواطن طالح يحتاج الى توجيه وارشاد! تتفاعل كل هذه الافكار عند مدير إدارة الجوازات والجنسية : فيعمل على ضوئها رسميا وماخرج عن الرسميات يحتفظ به -مدير الادارة- احمد جمال في نفسه ليجد الفرصة ذات يوم ليوجه نصحه الى امثال هؤلاء الذين يتخذون السفر الى الخارج وسيلة للخروج عن تعاليم الدين الخفيف ، ولاضاعة الشرف العربى في بلدان الضياع!

لا شك في ان هذه الوظيفة قد أثرت في نفسية الموظف الذي يحمل بين جنبيه قلبا صالحا يتوق الى نشر الفضيلة بين المواطنين وبين غيرهم من امة الاسلام .

وبهذه الوظيفة يختتم الاستاذ احمد جمال جولته الطويلة في مجالات التجارب ، واكتساب الخبرات ليخرج بمحصولها يوما ما في كتب قيمة تعالج كل مالمس ورأى مما يسر ولا يسر! يختم الاستاذ هذه الجولة في عام ١٣٧٥ هجرية! عندما صدر مرسوم ملكى بتعيينه عضوا في مجلس الشورى .

نشاطه وكتبه ومؤلفاته

بعد ان اكتمل للاستاذ احمد ماأراد الله له من علم ودراسة وثقافة وتجارب هيا الله له فرصة الانتفاع من علمه ، ونفع الناس به ، فاختر استاذاً للثقافة الاسلامية عام ١٣٨٧ هجرية ، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، وظل حتى نشأت جامعة ام القرى بمكة : فانتقل اليها مدرسا لمادة «تفسير القرآن الكريم» حتى وفاته يرحمه الله .

وهو -الى جانب عمله بالجامعة- عضو بمجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي ! الذي اختاره عضوا خبيراً بالمجمع منذ عام ١٤٠٦ هجرية .

كما أشرف على إصدار مجلة «التضامن الاسلامي» (١) بوزارة الحج والاعراف .

ويقوم -ايضا- بالاشراف على اصدار كتاب «دعوة الحق» شهريا برابطة العالم الاسلامي .

واجهزة الاعلام المحلية والخارجية تشهد للاستاذ احمد جمال بمدى نشاطاته الواسعة الرائدة والمفيدة ، فطالما زحرت صحفنا المحلية والخارجية بالمقالات الادبية والدينية التي يدبجها قلم الاستاذ الكاتب الاسلامي الكبير احمد جمال .

ومنذ تأسيس رابطة العالم الاسلامي بمكة الشيخ احمد محمد جمال -رحمه الله- يمثلها في عديد من المؤتمرات والدورات والندوات الاسلامية ، في آسيا وامريكا واوروبا وأفريقيا واستراليا .

(١) حالياً باسم مجلة الحج بعد أن تم إعادة مسمه هذا السابق

ومما هو جدير بالذكر ان جلالة الملك فيصل - رحمه الله - عندما كان وليا للعهد، ورئيسا لمجلس الوزراء، اختاره عضوا في لجنة «نظام الحكم» برئاسة سمو الامير مساعد بن عبد الرحمن، وقد قدم الاستاذ الكبير احمد جمال مشروعا لنظام الحكم يجمع بين أحكام الشريعة الاسلامية والاساليب العصرية للحكم، وكان ذلك في عام ١٣٨٢ هجرية.

إن هذه اللفتة الكريمة من الملك فيصل للدليل ناصع على مدى تقدير جلالته الكبير لهذا الاستاذ الكبير، الذي لم يتم عامه الاربعين من عمره المديد المليء بالخير - ان شاء الله تعالى - إن ذلك لتقدير وتكريم من جلالة الملك فيصل الذي أدرك بثاقب نظره فحولة هذا الكاتب المصلح الذي لا يننى عن تقديم كل الخدمات لدينه ومليكه ووطنه.

بعد هذه الفذلكة - رب قائل يقول: ما الذي تركته كل هذه الدراسات والوظائف والندوات والمؤتمرات وتلك التجارب الادبية والصحفية من بصمات على شخصية الاستاذ احمد محمد جمال؟ ماذا ترك الاستاذ احمد للتاريخ، ليشهد انه عمل للاسلام ولائته وللامتين العربية والاسلامية اعمالا جليلة نافعة خالدة يتفجع بها شباب الحاضر والمستقبل؟ فنقول جوابا عن السؤال الاول:

إن ماتركته تلك المؤتمرات من بصمات على شخصية الاستاذ احمد جمال ان جعلت منه شخصية علمية ادبية رائدة في مجالات عديدة اخذت مكانها بين اعلام هذا الجيل: استاذنا ومدرسا جامعيا واديبا وشاعرا ومفكرا وموجها اجتماعيا ودينيا. وكاتب اسلاميا موفقا.

وجوابا عن السؤال الثاني نقول: ان الاستاذ احمد جمال ترك للتاريخ

ماشهد له الاجيال المعاصرة والمقبله بانه عالم استفاد وافاد واجاد
ووجه وارشد، وعلم شبابا، وضرب أروع الامثلة للرجل المكافح في
سبيل الدين والعلم والمعرفة والمجتمع بتوفيق الله أولا- ثم بعمله
الجاد، ليل نهار، حتى اصبح منارا يضيء لمن حوله بمؤلفاته في شتى
فنون المعرفة، فمن مؤلفاته :

- ١ - على مائدة القرآن : دين ودولة «ثلاث طبعات» .
- ٢ - على مائدة القرآن : مع المفسرين والكتاب «طبعتان» .
- ٣ - محاضرات في الثقافة الاسلامية «ست طبعات» .
- ٤ - مفتريات على الاسلام «اربع طبعات» .
- ٥ - كرائم النساء : نماذج اسلامية رائعة «طبعتان» .
- ٦ - استعمار وكفاح : ابحاث سياسية وتاريخية .
- ٧ - نحو سياسة عربية صريحة : ابحاث سياسية وتاريخية .
- ٨ - وداعا أيها الشاعر .
- ٩ - سعد قال لي : قصص اجتماعية .
- ١٠ - ماذا في الحجاز : تراجم ونماذج أدبية .
- ١١ - مجتمعنا كما ينبغي ان يكون .
- ١٢ - الاسلام اولاً .
- ١٣ - من كشمير الى فلسطين .
- ١٤ - من اجل الشباب «طبعتان» .
- ١٥ - الشباب : دراسات ولقاءات .
- ١٦ - مأساة السياسة العربية .
- ١٧ - نحو تربية اسلامية .

١٨ - الاقتصاد الاسلامي .

١٩ - الجهاد في الاسلام .

٢٠ - نساء وقضايا .

٢١ - تعليم البنات بين ظواهر الحاضر والمستقبل .

٢٢ - فكرة الدولة في الاسلام .

٢٣ - خطوات على طريق الدعوة .

٢٤ - نساؤنا ونساؤهم .

٢٥ - قضايا معاصرة في محكمه الفكر الاسلامي «طبعتان»

٢٦ - مآدبه الله في الارض «طبعتان» .

هذا ما استوعبته ذاكرتى ، وغير ذلك موجود ومطبوع ، ومنها ما هو تحت الطبع ، انها كتب قيمة تناولت موضوعات شتى لا يغيب عن المتفرس ماتحويه تلك الكتب ، وكما قيل : الكتاب يقرأ من عنوانه .

إننى أرى أن مآذكرته من عناوين الكتب التى تركها الاستاذ الكبير والمؤلف المتقن ، غنى للقارىء عن ذكر محتوياتها ، ولو اتسح لى من الوقت اكثر لشرحت للقارىء ، وناقشت معه بعض تلك المحتويات الرائعة المفيدة التى لا تخلو من فائدة كبيرة ، سواء كانت في الدين ، أو السياسة ، أو التوجيه الدينى ، أو التربوى ، أو الاقتصادى ، أو النسوى ، إلا اننى سألمس بعض الجوانب من تلك الكتب لمسا خفيفا كأمثلة رائعة تبرز حقيقة علم هذا الرجل .

ان الاستاذ الكبير احمد محمد جمال بهذه الكتب القيمة أدى رسالة العالم الناصح والمواطن الصالح . والمعلم الناجح ، فقد اصبحت كتبه منتشرة في كثير من البلدان العربية والاسلامية ، تقبل عليها الجماهير

بلهفة ، حتى غدت تنفذ طبعاتها من الاسواق في زمن قصير ، فيعيد الاستاذ طبعها ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، وخامسة ، وهذا الاقبال من القراء ، وتكرار الطبعات دليل على ان الجماهير القارئة ادركت قيمتها التأثيرية في نفوسهم ، تأديبا وارشادا وتعليلها وتوجيهها .

ان الاستاذ احمد يكتب باسلوب سهل سلس شيق يستحث القارىء على المضى في القراءة دون ملل ، يتخذ في اسلوبه طريق الاقناع ويسوق الادلة من القرآن الكريم ، ومن الهدي النبوي الشريف ، ومن اقوال الصحابة والتابعين ، ثم يعمد الى الاحداث المتتابعة في حياة الناس اليومية ، ويستخلص منها الادلة الدامغة على صدق مايقول ومايكتب ومايدعو اليه .

ان كتابا بهذه الطريقة لجدير ان يقتنى ، وان ينال من الاقبال ما لا يناله كتاب آخر ، كتب باسلوب ممل ولغة صعبة او ركيكة ، ثم ذلك نجد المؤلف يهرف بما لا يعرف ، ولا يدري القارىء الى اين سيصل به صاحب الكتاب ، الهدف غامض ، والاسلوب لا يهdy الى الغاية ، بيد ان كتب شيخنا احمد تبلغ من الوضوح درجة تجذب قراءه وقد لا يكون مستواهم العلمي بالغاحد النضج ، ولكن موضوع الكتاب واسلوبه يشوقان القارىء للاستمرار ثم التكرار فيدرك من الفائدة ما لا يدركه في بعض الكتب المماثلة في الغاية والهدف .

شعره وأدبه

والشعر موهبة تصقل وتهذب وتوجه . ولم ولن يكون الشعر مكتسبا ، فكم من ادباء فحول كتابتهم اعجاز ، حاولوا ان يقولوا الشعر ، فلم يوفقوا ، منهم الاستاذ الكبير احمد حسن الزيات ، رئيس تحرير مجلة «الرسالة» الذي كان بليغا فصيحاً ، رائع الاسلوب ، عذب الالفاظ ، يختار موضوعاته اختياراً ، ويفرغها في قالب بلاغى ساحر ، اعجب به الادباء والشعراء ، انه مع ما أوتي من قوة البيان ، وفصاحة اللسان ، حاول قرض الشعر ، فاكدى واخفى مانظم ، وقال مامعناه : لقد حاولت نظم الشعر ، فتمخضت محاولتى عن بضعة أبيات من غيره .

يتأثر بكل ما يراه وما ينزل به وبغيره ، ويتألم او يفرح اكثر من سواه ، وله القدرة على التعبير عن ذلك بكلام موزون «موسيقى» مقفى ، يهيم عليه الخيال الخصب ، والرؤية البعيدة ، ويختار من الالفاظ رقيقها ، ومن المعانى بديعها في اسلوب يؤثر في السامع ، ويتسلل الى اعماقه ، ويثير احساسه ، فيشارك الشاعر في تأثره فيفرح بفرحه ويبكى لبكائه ، ويستطيع الشاعر ان يجعل من الخيال حقيقة ، ومن الاحياء امواتا ، ومن الموتى احياء ، كل ذلك في تصوير رائع اخاذ لما يجيش به قلبه واحساسه .

هذه الموهبة أو هذه النظرة تسميها العرب شعرا ، وصاحبها شاعرا ، هذه الموهبة العجيبة تفجرت عند استاذنا الكبير احمد جمال

وهو في الثالثة عشرة من عمره فصّح بالشعر انغاما والحانا عبرت عن معاناته في الحياة، وعن امنيات وطموحاته، كما عبرت عن مشاعره نحو العروبة وماتعانيه من انقسامات وانهازامات امام اعدائها من امم الغرب المتآمرة، نوه بمصر وأشاد بافضالها على الامة العربية، وندد بالاستعمار الاجنبى لبلدان عربية رزحت تحت الاستعمار.

ظهر في شعره الايمان بربه، والثقة به، والالتجاء اليه في كل الملمات كما صور عفته وطهارته وهو في سن المراهقة.

وخلاصة القول انه جال وصال بشعره في كثير من المجالات وهو مازال غض الشباب في اوائل العشرينات من عمره.

ولنبداً بما قاله الشاعر عن نفسه في قصيدة عنوانها: من أنا؟

ويا نفسُ ان اسألكِ عمن أكونه

فلست بيدع في الذي انا سائله

ألست الذي يؤذيه في الشرق ان خلت

به حقبُ ، والغربُ فيها يخاتله

يناشله امجادهُ ، وعلومه

ويغدو اليه ناسيا ما يناشله

ويكربنى ان اشهد الغرب يدعى

جهالة هذا الشرق وهو يحامله

ألست الذي لا يرتضى الخسر صفقة

لامته في كل امر تحاوله

ألست الذي يأسى على سالف لنا

مكارمه مشهورة وفضائله

وهل أنا إلا من على العرب احصرت
 قصائده حفازةً ومسامله
 بلى انسى يانفس ما أنا ذاكر
 وعندي على حبي العلاء دلائله
 فهذي قوافي الحرار شواهدُ
 صحاحٌ على صدق الذي انا قائله
 وهذي مقالاتي الغزار تقرُّلى
 بان اليراع الحر ما انا حامله
 وأن الضمير الحى مسرُّبه دمي
 وفي امره لله ما انا قائله

هذا هو احمد جمال، الشاعر المبدع، الذي لم يتجاوز السادسة عشر
 من عمره، يسأل نفسه عمن يكون، فيجيب بانه هو الذي يؤديه
 مايريده الغرب للشرق من أذى، وما يبيته له من مكر، وما يدعيه
 الغرب لنفسه من اجماد هي - في الحقيقة اجماد بناها الشرق ورفعها
 ونشرها في سائر ارجاء الدنيا، ثم يرمى الشرق بالجهالة، فيغضب
 الشاعر لهذه المغالطة الغربية والادعاء الباطل فيقول:

ألسـت الذي لا يرتضى الخسر صفقةً
 لأمتـه في كل أمر تحاولـه

ثم يؤكد لنفسه انه هو صاحب القوافي الحرار، والمقالات الغزار،
 وانه يحمل اليراع الحر الذي يدافع عن امته، ويشيد بعظمتها، وانه لا
 يقول ذلك من فراغ، ولكن ضميره الحى يلهمه كلمة الحق:

وإن الضمير الحى مسرُّبه دمي
 وفي أمره لله ما أنا قائله

لله هذا الشعر المتدفق من شعور صادق يسري في دم الشاعر
النشء، ستة عشر ربيعاً، كيف استطاع هذا الناشئ ان يجيد التعبير
شعراً ويصوغه من اجل امته ذهباً ودراً، ويصوبه في وجه اعدائها، نارا
وجمراً؟ من أين له هذه الثقافة الواسعة، والوعى الكامل، واللغة
الفصيحة والاسلوب القوي، وهو في هذه السن الصغيرة، ترى هل
يتأتى لابن السادسة عشرة في ايامنا هذه ماتسنى لاحد جمال في نشأته
الطيبة المباركة علماً وشعوراً؟

وهاهو الشاعر الناشئ التقي تنزل به محنة، ويفتك به ظلم، وينتابه
حزن، فلا يشكو ذلك لاحد من الصحب والاهلين، ولكنه يلجأ الى
من بيده ملكوت السماوات والارض القادر وحده على كشف ما أصابه
من ضرر، فيقول:

رباه اظلمت الدنيا عليّ فلا
نور يضيء ولا عدل ولا حذب
رباه ان فؤادي الغض صارخه
به الكلوم الدوامي فهو مصطحب
رباه اشكو اليك الظلم يوقعه
بى اقربون، ومنك النصر ارتقب
رباه ما بليالى الانس لى شغف
وليس بى من قنوطى - خلفها دأب
رباه ان حياتي جد جاهمة
في حين مثلى موسوع له اللعب
رباه حتى الشيوخ الرذل مارحة
نفوسهم ولها في اللهو مضطرب

رباه فليك منك اللطفُ في قدر
قد شئتَه لشبابِ حقِّه الحذبُ

هكذا إذن أنت يا أحمد، تبطش بك عادات الزمن، وتقسو عليك
الايام في صباك اليافع «سنة عشر عاما» وتتجهم حياتك، فلا تلجأ
للهو واللعب والسلوة، كما يفعل من هم في مثل عمرك، انك تلجأ الى
الله ربك، رب العالمين، تبته شكواك، وتسأله اللطف فيما قدره لك،
إذن لقد كنت مفطوراً على التقوى والايان، فأثابك الله بعلم نافع،
وقلب خاشع فأصبحت داعية لله، تدعو على بصيرة، فتح بها الله
عليك، فكنت من خيرة الشباب كما أنت بالأمس من خيرة الشيب.

تبصر ايها القارئ في سيرة هذا الشاب الذي نشأ في عبادة ربه،
كيف من الله عليه من هدى وهداية ورشد ودراية؟

اسمع مايقول الناشئ الصغير في أبيات عنوانها «صلاة»:

رباه اني بملء القلب لا بغمي
أقولُ نحوكَ تفويضى وتعويل
وأن لي الثقة العليا بما ملكتُ
يداك لا بالذي يجنيه تحصيل
وانتى منك راج ان تحولننى
تقواك سرّاً وجهراً في مفاعيل

لك البشرى يا احمد، لقد اعطاك الله ما سألت، فأنت تقى في
شبابك، وفي مشيبك، في شرك. وفي جهرك، لا ازيك على الله، انما
ذلك مانحسبه استجابة لدعواك. إذ يقول عالم الغيب والشهادة:
«ادعونى استجب لكم» ولقد انجز الله ما وعد، فحسن ظنك بالله هو

سر نجاحك وتوفيقك ، ألم تقل عندما احرقتك الحمى بنيرانها ، وانت
شاب :

أيها الحمى لقد احرققتني
وذوى من وقد نيرانك غصني
أنا لم يضجر فؤادي منك بل
لم يسؤ في رأفة الرحمن ظني
فحنانيك الهى ، واهلدي
من ذنوبي ربها لم ترض عني
فاذا كان ايمانك بالله قويا ، وظنك برأفته ورحمته حسنا ، وانبت اليه
في كل امورك ، فاطمئن لرضاه ، انه يهدي اليه من ينيب ، فلقد قلت :
سأصبر نفسي دون ريب يارئي
واستر حسني بالاذى لا اكلم
فلله - لا اهلى ولا ذي صداقة
شكاتى ، ففى أطفاه اتعشم
وهذا هو الايمان الحق فأنت لا تشكو ما أصابك من أذى ، ولا
تتكلم به لاهلك ولا لاصدقائك ، انما شكواك لربك الذي ترجو منه
اللطف ، نعم الصبر بالله ، ونعم اللجوء إليه ، ونعم الرجاء فيه .
أيها القارئ الكريم الا تستشف من هذا التوجه الى الله من شاب في
مستهل الشبيبة حقيقة الحب الالهى في قلب هذا المؤمن الصادق ؟
إذن فهو في مقبل عمره سيكون لله عابدا ولدينه داعيا ، ولامة
الاسلام ناصحا ، لقد كان احمد كما رسم لنفسه طريق الهدى والتقوى
الذي شاءه له مولاه ، يسير على النهج القويم ، والمنهج الحكيم ، سعيدا
بلقاء رب أنار فؤاده ، والهمه رشده .

لنلقى نظرة على شعره، بعد ان بلغ الثمانية عشر عاماً، لنرى ما بلغت انفعالاته الشبابية في هذه السن، وهو المستقيم العف التقي، هل مال قلبه الى فتاه استهوته، وتيمته بغرامها كبشر يهفو الى الجنس الآخر، فانصرف قلبه بها، وشغلته عن تقواه، ولو بالفكر والاحلام؟

هذه قصيدة له بعنوان «عروس احلامي» لنرى من هي؟ وأين تقيم؟ وماهي اوصافها التي استهوت قلب الناشئ في عبادة ربه؟

أَتَمَنَّى - وَقَدْ خَلَّتْ لِي ثَمَانُ

بَعْدَ عَشْرِ سِنِينَ مِنْ أَيَّامِي
كَاعِباً ذَاتَ غَيْرَةٍ فِي هَوَاهَا

وَحِفَاطٍ فِي وَدَّهَا وَالذَّمَامِ
وَكَمَالٍ فِي دِينِهَا وَحُجَاهَا

وَجَمَالٍ فِي وَجْهِهَا وَالْقَوَامِ
أَتَبْنَى بِهَا حِلَالاً كَزَوْجِ

لَا حَرَاماً بِاسْمِ الْهُوَى وَالْغَرَامِ
رَبِّ إِنِّي أَرْجُوكَ وَحَدِّكَ إِعْثَارِي

عَلَيْهَا فَقَدْ كَبَّتُ أَقْدَامِي
وَيَكَادُ الْغَرَامُ يَطْرُقُ قَلْبِي

وَهُوَ قَلْبٌ خَصِمٌ لِكُلِّ حَرَامٍ
رَبِّ هَبْ لِي زَوْجِي وَاصْلِحْ شِبَابِي

بِهَوَاهَا، وَحِيَه بِالسَّلَامِ
إِنْ فِي النَّفْسِ شَهْوَةٌ تَتَلْظَى

بِضْرَامٍ وَالزَّوْجُ بِسَرْدِ الضَّرَامِ

لست أبغى نفع الغليل بحب لفتاة انالها بالحرام

لم نجد لعروس احلامك وجودا حيا امامك ، لم تشغف به حبا كلما
رأيتها او لمستها او قبلتها ، انها حقا عروس احلام ، وليست كائنا
مجسدا .

إذن انت لم تذق النوى ، ولم يحرقك الغرام بفتاة ماثلة بين عينيك
تتهادى بين يديك ، حاشاك فأنت عف كريم ، وقلبك خصم لكل
حرام . ما أروع هذا التقى ، وما أعظم هذا القلب ، الذي اتخذ الحرام
خصما ، انت في الثامنة عشر ، ووسامتك التى حباك بها الله مطمع لكل
فتاة ، فلو أردت الحرام لارتمت تحت اقدامك اجمل الفتيات والغادات ،
لكنك لم تلق بنفسك في طريقهن ، حتى لو اعترضن هن سبيلك
لعففت ، وانصرفت قائلا : ان قلبى خصم لكل حرام ، تبارك الذي
أنشأك وصورك ، واعفك وحصنك ، وعن الرذيلة ابعذك ، وبالتقوى
زودك ، طاب معدنك ، وزكت خلائقك ، جل الله خالقك ، ما اعظم
ما جبلك عليه من عفة وتقوى وصلاح ورشاد وصبر على شهوات
الشباب التى استطعت ان تكبحها - بتوفيق الله - فلم تجمع نفسك ،
ولم تجنح الى الهوى ، وانت في عمر هو في اكثر الخلق زمن الانحراف
والانزلاق ، كأن الله قد اعدك لتكون داعية للفضيلة ، بل لمكارم
الاخلاق ، مقتديا برسوله الكريم صلى الله عليه وسلم - أنشأك نزيها
عفا تقيا - في شبابك - لتكون في شيخوختك ، أمرا بالمعروف ، ناهيا
عن المنكر ، لا يستطيع احد ان يعيرك بماض مخز ، وشبيبة دنستها
الاهواء والشهوات ، سبحان الذي يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

اعتقد اننى استعرضت من شعر الاستاذ احمد جمال ناشنا مايكفى لاستقصاء ماكانت به خواطره المنبعثة من عواطفه ومشاعره وعرفنا انه نشأ نشأة دينية تتميز بكل مايتطلبه الدين الاسلامي الحنيف فلا غرو اذن ان يشيب الشيخ احمد على حب الفضائل ومكارم الاخلاق والتمسك بالاسلام والدعوة له فمن شب على شىء شاب عليه .

وختام القول عن شعره نقول : ان شعره كان صورة حقيقية لمشاعره وبيئته وطموحه ، ولم يقتصر شعره على الناحية الاخلاقية فحسب ، فلقد تناول موضوعات شتى في شعره ، كاعلان كفره بالحب الذي يرمى صاحبه الى الفجور ، وكاشادته بعالمقة الادب والشعر قديما وحديثا ، وذلك في قصيدة قالها اعجابا بالعقاد ، الكاتب العبقري شعرا ونثرا وتأليفاً ، كما أشاد في قصيدة اخرى بعبقرية ابي العلاء المعرى ، وذكرائه وحدة حفظه ، وناقش آراءه الاحادية ، وسفهاها بالدليل الملموس ، ولقد تناول «الرثاء» فبكى اياه بكاء الابن البار المحب الشغوف بأبيه ، كما أبّن فقيده مكة فضيلة الشيخ امين فودة - رحمه الله - وساجل كلا من الشعراء الكبار أمثال : حمزة شحاته ، وحسين عرب ، وحسين سرحان ، مساجلة الند للند ، وهم من الجيل الاول والثاني ، وهو من الجيل الثالث ، فلله دره شاعرا وكاتبا واديبا شعر فأجاد وكتب فاعجب وأدب .

آراءه الصريحة

ولما بلغ اشدّه واستوى اتاه الله ما أتاه من غيرة على دينه، وقومه، وأبناء دينه من المسلمين والمسلمات، وعنى بمشاكل الشباب بنين وبنات فوجه وعلم وارشد، وألف للصنفين كتباً قيمة منها «كرائم النساء» «نساء وقضايا» «مكانك تحمدى» «من اجل الشباب» «الشباب دراسات ولقاءات» وكم كنت اود ان استعرض شيئاً من افكاره حول قضايا الشباب المسلم لولا اننى رأيت المقام - هنا - لا يسمح لى بهذا التفصيل والتوسع، كما أسلفت من قبل.

وعالم كالشيخ احمد جمال يهتم بامور دينه، ومايمت اليه من متسبين ومشكلات يعانيتها هؤلاء المنتسبون للدين، اعنى بهم المسلمين عامة - في حياتهم ومعاشهم واستيطانهم وخضوعهم لنوعية الحكام الذين يديرون شؤونهم، يعدلون في حكمهم أو يظلمون، يؤمنون بدينهم او يكفرون، عالم كهذا يرى ان من الفرض عليه امعان النظر في احوالهم والتفكير فيها ان كانت سليمة هلل وكبر وحمد الله، وان كانت سيئة ثارت الكرامة الاسلامية في قلبه، وندد وخاصم ودافع واجتهد لوضع الحلول التى يرى انها مفيدة لصالح المسلمين وهو كعالم كاتب مسلم مؤمن ناصح، لا يملك الا القول والكتابة فيقول عندما يتاح له مجال القول، وإلا عمد الى الكتابة في الصحف، وإلا انكب على التأليف، يناقش في مؤلفاته قضايا المسلمين، وقضاياهم لا تخرج كما نوهت آنفاً عن سوء مقاساتهم في حياتهم وتوطنهم، وماينصب عليهم من ظلم الظالمين.

هاهو الشيخ المسلم يعالج قضايا المسلمين الذين دهتهم داهية الحكم في بلدانهم من قسوة وظلم من تغير الحاكم المسلم الى حاكم شيوعي او غربي او الحادي أو استبدادي «دكتاتوري» فهو يمعن النظر في ذلك، ويدرس المشاكل ويحللها، ويعطى رأيه فيها وما يجب ان يتخذ بصدددها من اجراءات هذا الاهتمام بنظام الحياة في بلاد المسلمين ونظام الحكم فيها او في بلاد اقليتها مسلمة هذا الاهتمام بهذه الامور يعتبر اتجاها سياسيا .

وعند استاذنا احمد تنطلق هذه السياسة من منطلق اسلامي، باعثة الاهتمام بشؤون المسلمين (فمن لم يهتم بامور المسلمين فليس منا).

ان الاستاذ الكبير احمد جمال في كتابه «مأساة السياسة العربية» يعرض قضايا العرب السياسية مع دولة اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وماتلاها من الاعوام، ويرى ان القضية الفلسطينية هي المأساة العربية الكبرى، هذه المأساة الطاحنة للعرب جميعا، وليس للفلسطينيين وحدهم، التي مازالوا يحترقون في جحيمها، ويتمزقون شر ممزق، خلال اثنين وثلاثين عاما لن يكون لكربها انفراج ولا لغمها انكشاف إلا بأمرين .

١ - الحياد الفلسطيني .

٢ - الوحدة العربية .

يقول عن الحياد الفلسطيني في كتابه هذا صفحة (١٥) مانصه :
(الحياد الفلسطيني كان ومايزال مطلوبا منذ ابتداء المشكلة وزحف المأساة على الديار العربية فلو ان الزعامات والقيادات والمنظمات الفلسطينية التزمت الحياد في علاقتها وصادقتها مع الزعامات

والحكومات العربية والاسلامية . وحتى الاجنبية لكانت اليوم اقوى مكانة، واكثر نصيرا، واشد بأسا على عدوها الصهيونى واقدر على نيل حقها منه، وعلى الظفر بتأييد كافة الاطراف في النزاع العربى الاسرائيلى).

ويستمر العالم السياسى المفكر (في صفحة ١٦) من الكتاب شارحا آثار الاتجاه الفلسطينى لبعض الدول ضد اخرى، مما افقدها التأييد الشامل من الدول العربية والاسلامية بسبب تردد المنظمات الفلسطينية بين هذه الدول وتلك، ثم يختم كلامه عن الحياذ الفلسطينى بقوله :

«وهو مهم وضرورى - أيضا - لانفكاك القيادات والمنظمات الفلسطينية من قيود استغلال هذه الدول أو تلك لاستخدام اعضاء المنظمة أو مكاتبها أو اجهزتها الاعلامية أو مراكزها التدريبية للاتهام أو الانتقام من دولة اخرى معارضة لها، أو مختلفة معها» .

آراء جريئة صريحة، لها وزنها في السياسة الفلسطينية بوجه خاص وفي السياسة العربية بوجه عام . ولا مجال - هنا - للمضى في تحليل آراء الكاتب الكبير وللقارئ الذى يرغب في الاستزادة ان يرجع الى كتاب المؤلف (مأساة السياسة العربية) .

ويقول كاتبنا السياسى عن الوحدة العربية (في صفحة ١٧) مانصه :
(أما الوحدة العربية فأمر مهم وضرورى آخر لحل المشكل الفلسطينى وكفانا اثنان وثلاثون عاما من الخلاف والفرقة والصراع بين اعضاء اسرة واحدة، وعدو متربص بالجميع) .

ومن المضحكات المبكيات : ان تقوم بضع دول عربية بحركة اتحاد وتجمع تحت اسم «التصدى والصمود» على أنه موجه للعدو الاسرائيلى

فاذا به - في حقيقة امره - موجه لمجموعة اخرى من الدول العربية نفسها، أي انهم عرب يتصدون ويصمدون في وجوه عرب من اخوانهم وجيرانهم الذين يشتركون معهم في مأساة واحدة، ومشكل واحد، تعسر حله خلال اكثر من ربع قرن من الزمان .

ثم يذهب استاذنا الكبير الى بعد كبير مما تقوم به زعامات عربية من اجتماعات عامة كمؤتمرات القمة ، والى المعاهدات الثنائية بين روسيا ودولة او دول عربية ، ويبدى تخوفه وقلقه الشديدين من هذه التكتلات بين الدول الكبرى وبين بعض الدول العربية مما سيؤدي الى مشاكل اخرى للبلاد العربية .

ثم لا ينظر الى المشكلة الفلسطينية (التي هي اساس المأساة العربية الطاحنة والتي مزقت الشمل ، وبددت القوى ، وأذلت الاعناق واشممت العدو ، ويسرت له المزيد من الانتصار والانتشار) هذا من كلام المؤلف .

من من العرب لا يؤيد قيام الوحدة العربية - إلا من سفه - ومن من عقلاء الامة العربية لا يدرك خطورة الفرقة والتناحر اللذين يسودان الامة العربية التي ابتليت ببعض القيادات الثورية ، والتي جرت بلادها الى الدمار ، وجرت معها بلدان عربية اخرى . الواقع أن الاستاذ احمد غاص في اعماق المشاكل السياسية العربية ، وأدرك حقيقتها ، وآلمه التخطيط الذي أودى بالامة العربية الى الحضيض ، وما زال . لقد عرض استاذنا نماذج واقعية تسيطر على السياسة العربية ، وأبدى رأيه ، ووضع الحلول -التي يراها من وجهة نظره - سواء اقتنع بها غيره او عارضها ، أنه العربي المسلم الغيور على مصالح أمته العربية

والاسلامية، نصح وحذر ودعا وأنذر، فله من الله الاجر، ومن مؤيديه كل ثناء وتقدير .

تناول غير هذا الموضوع في كتابه «مأساة السياسة العربية» فكتب عن مبدأ المفاوضات مع اسرائيل (منذ عام ١٩٨٢م - ١٤٠٢ هجرية) وهاهي آراؤه - الآن - تثبت صحتها وصوابها .

كما تطرق الى تطورات الاحداث في المنطقة، ومايستفاد من جهاد الافغان بالنسبة للسياسة العرب، وتحدث عن معاهدة «كامب ديفيد» من وجهة نظره، وفرحة المسلمين بعودة سيناء عربية اسلامية، وحذر من سياسة الرفض، ودعا الى مقاطعة المنظمة الدولية ولو مرة واحدة .

تحدث عن امور سياسية كثيرة اخرى، ليس لسردها مجال هنا، وعلى من تاقت نفسه الى معرفة الاتجاهات السياسية لدى الاستاذ السياسى العالم احمد جمال، فليرجع الى كتبه السياسية، منها: «استعمار وكفاح» و«نحو سياسة عربية صريحة» و«من كشمير الى فلسطين» و«مأساة السياسة العربية» الذي استعرضنا بعض ماجاء فيه من آراء ووجهات نظر الاستاذ الكبير احمد جمال .

أما آراؤه في المرأة المسلمة فلقد كتب عنها كثيرا ووصفها وعرفها ورفعها وقدر شأنها، ودورها في حياة الرجل والاسرة والاولاد والمجتمع، تحدث عن تعليم المرأة، وعن عملها الوظيفى، وبين ماهي المجالات التى يجب ان تمارس المرأة فيها اعمالها وتؤدى دورها بكل نجاح، تحت ظل الشريعة الاسلامية التى انزلها رب الرجال والنساء ورب العالمين، وما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرأة من معاملة واکرام وصون فهي في نظره أغلى جوهرة يجب أن يحافظ عليها

الرجل ، ويصونها من كل مايضرها ويضرها .
آرائه في المرأة واضحة جلية في كتبه القيمة «تعليم البنات» «مكانك
تحمدي» «نساء وقضايا» ولكي تعرف المرأة الصورة التي يجب ان تكون
عليها كتب لها كتابه «كرام النساء : نماذج اسلامية رائعة» فليأخذ من
اراد من تلك الكتب خير ماكتب عن المرأة المسلمة .
وللتاريخ والانصاف اقول : ان الاستاذ احمد وأخاه الشيخ صالحا -
رحمهما الله - كانا من خيرة من يغار على المرأة ، الام ، والاخت ،
والزوجة ، والابنة - جزاهما الله كل خير .

واختتم كتابتي عن الاستاذ الشيخ احمد جمال بقولي : ان ماكتبته في
هذه الصفحات عن رفيق الصبا ، وزميل الدراسة ، وشريك الميول
وصديق الشيخوخة ، هو جزء متواضع مما يجب ان اكتب عنه ، ولو
تسنى لي ان اؤلف كتابا عن سيرته ونشأته و اخلاقه وأدبه وشاعريته
وعزيمته التي لا تعرف الكلل ولا الملل ، وعن طهره وتقاه - لا اذكيه
على الله - لو تسنى لي ذلك لفعلت ، ولعل الله يوفقني ان أفعل ذلك في
مقبل الاعوام - إن شاء الله - فانه بذلك جدير ، بل الاجدر ان يقرأ
شباب الاجيال القادمة عن جهاد هذا الرجل الذي بنى نفسه من طالب
قليل التحصيل الى عالم نفع الله بعلمه اقواما وبذ بنو غه اعلاما .

شخصيته الإسلامية الفذة

لقد كان اخي نسيج نفسه، فتح الله عليه وأثار بصيرته، وأرشده السبيل القويم وأعانه في كل أموره. فاذا به يبزغ بزوغ الشمس المضيئة في راد الضحى وتنتشر من ضيائه كتب تنير السبيل فيهدى بها الضليل، اقتبس علمه من اعظم الكتب الالهية، وحفظه غيبا، واستنار به عقلا ونفسا وقلبا. فرفعه الى درجة استاذ جامعي يفسر القرآن تفسيرا ويفجر نوره في قلوب تلاميذه تفجيرا، كما استلهم هدى خير الرسل - عليه الصلاة والسلام - فجمع بين النور من: كتاب الله وسنة رسوله.

من هذه الترجمة - شبه المستفيضة - تتجلى شخصية استاذنا احمد الذي يمكننا ان نقول عنه بعد ماقرأنا أنه الشاعر الاديب، المفكر، الصحفي، الكاتب الاسلامي، المؤلف، الاستاذ الجامعي الشيخ، احمد محمد جمال.

إذن لا غرو ان ينبرى الاستاذ الكبير والعالم القدير أحمد عبد الغفور عطار للكتابة عن استاذنا احمد جمال، مشيدا باعماله واتجاهاته في خدمة الاسلام، يثنى على جهاده الفكري والعلمي والتربوي ويرشحه لجائزة الملك فيصل - رحمه الله - (نشر مقاله عن الاستاذ احمد جمال في جريدة «الندوة» بتاريخ ٨/١٠/١٤٠٧ هجرية)

ومن نفس المنطلق، وبنفس النظرة، وبعين التقدير للقيمة العلمية والفكرية للاستاذ احمد قامت وزارة الحج والاقواف بترشيحه لنفس

الجائزة الفيصلية في عام ١٤٠٨ هجرية وإننى أتمنى ان يكون لى صوت
يسمع فارشح الاستاذ الكبير ، والكاتب الاسلامي الشهير احمد جمال
لنفس الجائزة، شعورا منى بانه جدير بها .

هكذا عاش احمد جمال علما من الاعلام الجهابذة، خدم دينه وأمته
الاسلامية بكل ما آتاه الله من قدرة واخلاص حتى اصبح شمسا
تضيء آفاق الامتين العربية والاسلامية فاستنارت بافكاره عقول
وافئدة، ونفوس ارهقتها مبادئ الحضارة الغربية وتعلمذ على يديه
عدد كبير من الناس واخذوا ينهلون من ينبوعه السلسال المتدفق
بالعلوم الدينية والآراء الادبية والافكار السياسية والمقترحات
الاجتماعية .

وفي ليلة الاحد الموافق ٩/١٢/١٤١٣ هجرية، ليلة الوقفة الكبرى
توقف القلب الكبير المعطاء واسلم الروح الى خالقها الكبير المتعال
الحى الباقي الذي لا يموت .

مات احمد جمال فانكفأت عليه القلوب العامرة بالايان والمحبة
والاخلاص تبكى على فقيد الامة الذي توفاه الله غريبا صائما شهيدا
(باذن الله) .

واحتشدت الالوف المؤلفة بداره يشيعون جثمانه الطاهر الذي كان
يحمل قلبا طاهرا عامرا بالايان، وعقلا نيرا يضيء بالحكمة
والرجحان، وقلما جريئا صريحا يجول في كل ميدان، ونفسا ابية زكية لم
تعرف الزيف والروغان .

نعم لقد مات احمد كما يموت كل حي ولكن هل انقطع فضله
وغاض نهله؟

ان احمد جمال مايزال حيا في كتبه الاربعين التي حفلت بكل الاثار
اليانة والافكار البارعة ، بقيت آثاره في كل ماكتب . . فهو اذن ماثل
بين الناس لم يمت ينصح ويصحح ، يعلم ويفقه ويتقّد ، يكشف
الناس باخطائهم ويردهم الى صوابهم انه حي في روافده المتدفقة بالعلم
والحكمة والتوجيه والارشاد ، انه مايزال حيا بيننا نخاطبه ونخاطبنا ،
نسأله فينصحننا . ماعلينا إلا أن نقرأ ماكتب . . فنراه ماثلا في مقال ،
بعقله وفكره وقلبه ولبه بجرأته وصراحته ، بلباقته وفصاحته ، بخلقه
وسماحته انه سيظل في قلوبنا حيا . . حتى نلقاه في جنة الخلد مع النبيين
الصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا .

اللواء علي زين العابدين
مكة المكرمة

**الشيخ أحمد محمد جمال
ورحلته الإسلامية**

بقلم الأستاذ الدكتور:

حسن باجودة

أستاذ الدراسات القرآنية

البيانية في جامعة أم القرى

مكة المكرمة

الفصل الثالث :

- المقدمة .
- تمهيد .
- ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ .
- رحلات إسلامية .
- عنايته بالشباب .
- عنايته بالمرأة .
- غيـرته على اللغة العربية .
- الخاتمة .
- فهرست المصادر والمراجع .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذه الدراسة وعنوانها: «الشيخ أحمد محمد جمال، ورحلاته الإسلامية»، قد عملت استجابة لدعوة كريمة من القائمين على شؤون كتاب: سلسلة دعوة الحق، الذين قرروا- مشكورين- إصدار عدد من السلسلة خاص بالأستاذ أحمد محمد جمال، تغمده الله تعالى بواسع رحمته، الذي كان حينما توفاه الله المشرف على هذه السلسلة، تقديراً لهذا الكاتب الإسلامي الغيور القدير، ووفاء من رابطة العالم الإسلامي لهذا العالم الجليل الذي تعددت إسهاماته العلمية، وكثرت رحلاته الإسلامية باسم رابطة العالم الإسلامي في المقام الأول.

وهذه الدراسة إذا كانت قد عملت استجابة للدعوة الكريمة الموجهة بتاريخ ١٤١٤/٦/٢هـ فإنها في الحقيقة تجسيد لما يكنه كاتب هذه السطور للشيخ أحمد محمد جمال من حب وتقدير كبيرين. فما أوثق العلاقة بيني وبين الشيخ أحمد خلال ربع قرن من الزمان منذ عودتي من بعثتي للدكتورة في مطلع عام ١٣٨٨هـ.

لقد كانت اللقاءات الفكرية والعلاقات الشخصية متعددة ووثيقة. فما أكثر اللقاءات؛ فكرية وأخوية في قاعات المحاضرات والندوات، وأروقة الجامعات. وفي مواسم رابطة العالم الإسلامي

الثقافية، والدورات التدريبية، والمؤتمرات الطلابية والشبابية، وعبر المؤلفات والصحف والمجلات وما إلى ذلك. ومن هذه اللقاءات ما استمر لأيام والليالي ذوات العدد؛ وذلك على غرار اشتراكنا في دورة الأئمة والدعاة والخطباء التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي في الصومال، في الفترة الممتدة من ١٥/٨ إلى ١٥/٩/١٤٠٠هـ وفي مهرجان الشباب العربي الرابع في الرباط بالمملكة المغربية في الفترة الممتدة من ١١/٨ إلى ١٨/٨/١٣٩٩هـ.

ولما كانت القضايا الفكرية التي تحدث فيها الشيخ أحمد محمد جمال متعددة فقد اخترت بعض النماذج التي كثرت معالجته لها في أثناء رحلاته الإسلامية المتعددة التي وصلت حتى استراليا شرقاً وأمريكا غرباً. وهذه القضايا ذوات علاقة وثيقة بالشباب والمرأة واللغة العربية. إضافة إلى رحلته الأخيرة إلى القاهرة التي تغمده الله تعالى برحمته في أثنائها، وإلى بعض الأمور ذوات العلاقة برحلاته الإسلامية. وبناء على ما سبق سارت الدراسة في الصفحات التالية على هذا النسق:

١- تمهيد.

٢- «إنا لله وإنا إليه راجعون».

٣- رحلات إسلامية.

٤- عنايته بالشباب.

٥- عنايته بالمرأة.

٦- غيرته على اللغة العربية.

وذيلت الدراسة بالخاتمة وفهرس المصادر والمراجع والموضوعات.

والله تعالى أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم جل
وعلا ، وأن يتقبله إنه جل وعلا أكرم مسؤول وأعظم مأمول ، وأن يعفو
عما بدر منا من تقصير إنه غفور رحيم .

﴿ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا * ربنا ولا تحمل علينا إصراً
كما حملته على الذين من قبلنا * ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به * واعف
عنا واغفر لنا وارحمنا * أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .
﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين *
والحمد لله رب العالمين ﴾ .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد
لله رب العالمين .

**كتبه الفقير إلى عفو ربه
د. حسن محمد باجودة**

تمهيد

ثمة مجموعة من الأمور المتعلقة برحلات الأستاذ أحمد محمد جمال الإسلامية نود أن نضعها بين يدي الحديث في قضايا الرحلات .

أولاً أكثر رحلات الأستاذ أحمد محمد جمال كان مبعوثاً لرابطة العالم الإسلامي^(١) وكان أول بعث سنة ١٣٩١ هـ على عهد أول أمين للرابطة ، وهو معالي الشيخ محمد سرور الصبان ، رحمه الله . ثم تابعت البعث على عهود كل الأمانة^(٢) وكان الأستاذ أحمد جمال في أول بعث له ممثلاً للرابطة في مؤتمر عقده مجمع البحوث الإسلامية في مصر في القاهرة خلال محرم وصفر سنة ١٣٩١ هـ^(٣) ومن ذكرياته رحمه الله تعالى عن هذا البعث الأول للرابطة : «إن اختيار الوفود وقع على شخصي الضعيف ، وكنت أصغرهم سنًا حينذاك ، لإلقاء كلمتهم الختامية ، فقلت بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه : شكراً لجمهورية مصر العربية ، ومجمع البحوث الإسلامية ، ووزارة الأوقاف وشؤون الأزهر ، على كرم الضيافة والترحيب ، بعقد هذا المؤتمر الإسلامي الذي جمع إخواننا من اليابان شرقاً إلى المغرب غرباً ، ومن طاشقند شمالاً إلى اليمن جنوباً ، ليتدارسوا بينهم القضايا التي تشغل بال العالم الإسلامي ، وتهم أبناءه جميعاً في إطار المنهج الإسلامي ، وتهم أبناءه جميعاً في إطار المنهج الإسلامي الرشيد . ثم

(١) خطوات على طريق الدعوة ٧/١ .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٧ .

(٣) خطوات على طريق الدعوة ١٨ .

دعوت إلى توحيد الجهود بين المنظمات الإسلامية لتحقيق التضامن الإسلامي، الذي هو واجب كل مسلم داع لحق الإسلام. وسألت الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا الاجتماع بين علماء المسلمين اجتماعاً مرحوماً، وأن يكون تفرقهم بعده تفرقاً معصوماً من الاختلاف والافتراق»^(١).

ثانياً : الأستاذ أحمد جمال يرتجل محاضراته وكلماته في الندوات واللقاءات الفكرية ثم يكتب بعد ذلك ماوعته الذاكرة، وهو قليل من كثير. ومما قال في هذا المعنى : «هذا ما استطعت أن أذكره من المحاضرة التي ألقيتها بنادي المدينة الأدبي، لأن مشكلتي أي لا أكتب أحاديثي ومحاضراتي قبل أن ألقها. وقد تعودت على الارتجال ثم تسجيل ما وعته الذاكرة، وهو قليل جداً»^(٢) وإن عدم كتابة الأستاذ أحمد جمال أحاديثه ومحاضراته جعله في المقابل حريصاً على تدوين كل ماوعته الذاكرة بعد ذلك، هذا إلى تدوين بعض الدقائق، وربما كتابة المعنى في صورة أوسع وأمتع. ومن الدقائق التي يمتاز بها الأستاذ أحمد حرصه على ذكر أسماء الذين رافقوه في السفر أو في اللقاءات الفكرية. ولما كنت - على سبيل المثال - قد رافقت الأستاذ أحمد جمال في بعض الدورات الخارجية والمؤتمرات الشبابية والطلابية، وفي بعض المواسم الثقافية للرابطة وغيرها فقد جاء ذكر اسمي في العديد من كتابات الأستاذ أحمد جمال وذلك على غرار الصفحة الثمانين من خطوات على طريق الدعوة، بشأن مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين في استراليا سنة ١٣٩٨ هـ، والصفحة السابعة والخمسين من الجزء الأول من خطوات على طريق الدعوة في معرض

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢٣.

(٢) أوصيكم بالشباب خيراً ٤٠

الحث على اشتراك رجال الفكر في المؤتمرات الطلابية . ومما قال : « لاحظنا أن نشاط المؤتمر كان محدوداً وكان عدد الطلاب الذين حضروه قليلاً ، كما أنه لم يدع إليه أحد من رجال الفكر المسلمين وغير المسلمين ، ما عدا ممثل جامعة الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة الدكتور حسن باجودة»^(١) ولما كنت قد درست في قسم الدراسات السامية بجامعة سبدي لمدة عام دراسي كامل مبعوثاً من الملك خالد بن عبدالعزيز تغمده الله تعالى برحمته وأستاذاً زائراً للعام الدراسي ١٣٩٥ / ١٣٩٦ هـ . ولما كانت علاقتي جد وثيقة باتحاد المجالس الإسلامية في أستراليا وبالمؤتمرات الطلابية فالذي أود أن أقره أن كلا من الاتحاد والمؤتمر الطلابي الإسلامي يدعوا الكثير من رجال الفكر من داخل أستراليا وخارجها ولكن الاستجابة قليلة بكل أسف . ومن الحقائق التي أود أن أعلنها هي أن القائمين على شؤون الاتحاد والمؤتمرات والندوات قد افصحوا لي بأنهم قد انتهوا ، بناء على تجاربهم الموصولة ، إلى وجوب تعيين الأسماء التي يدعونها إلى المشاركة ، لأن بعض الذين يحضرون تلك اللقاءات الفكرية ينحصر اهتمامهم في الحرص على إثبات وجودهم أول المؤتمر ، ثم الاختفاء في مختلف المسارب ، ثم الحرص على إثبات وجودهم في آخر المؤتمر ، دون أن يقدموا الفائدة المرجوة منهم ، ودون أن يقوموا بالواجب المنوط بهم . إن القائمين على شؤون الطلاب والشباب يحرصون على استدعاء شخصيات معينة مع أهم خصائصها المشاركة العلمية الإيجابية ، وربما المرباطة في المؤتمر مع الطلاب والشباب . يأكلون مما يأكلون ، ويشربون مما يشربون ويبارسون ما يبارسون . يؤمنونهم في الصلوات ، ويخطبون فيهم الجمعة ، ويلقون عليهم الدروس بعد الصلوات وفي كل المناسبات .

(١) - محاضرات على طريق الدعوة ١ / ٥٦

ومن مظاهر حرص الأستاذ أحمد جمال على ذكر الدقائق القول في الصفحة الحادية والعشرين من : أوصيكم بالشباب خيراً : « ولما كان سعادة الدكتور حسن باجودة مشرفاً على الموسم الثقافي للرابطة ، يقدم المحاضرين للمستمعين ويترجم لهم ، ويتلقى أسئلة الحضور الموجهة للمتحدث ، فقد تلقى العديد من هذه المسائل ، وكان يقرأ على الواحدة بعد الأخرى » وكانت محاضرة الأستاذ أحمد جمال في الموسم الثقافي للرابطة سنة ١٤٠٣ هـ بعنوان : الشباب ، حقوقه وواجباته ^(١) .

وبشأن دقة الأستاذ أحمد جمال في الإشارة إلى إشرافي على الموسم الثقافي للرابطة في ذلك العام فإني أود أن أقرر بأن ذلك الإشراف على الموسم كان تحقيقاً لرغبة أبداها لي قبل موته معالي الشيخ محمد على الحركان الأمين العام الأسبق للرابطة ، تغمده الله بواسع رحمته .

ثالثاً : من صفات الأستاذ أحمد جمال المميّزة له شخصيته القوية ، وجهره برأيه وصراحته ، ومن الأدلة على ذلك أنه لا يرتدي في حله وترحاله إلازيه العربي الكامل ^(٢) هذا إلى نعيه في العديد من المناسبات على الذين يحاكون ويقلدون ، غير مضطرين لذلك ، الأجانب في زيهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وأكلهم وما إلى ذلك . إنه - على سبيل المثال - يعلن في الوفود الذين يأكلون بأيديهم اليسرى ويقطعون اللحم بالسكين بأيديهم اليمنى قائلاً : « يا أصحاب الفضيلة يمكنكم أن تجمعوا بين السنة الإسلامية في تناول الطعام باليمين ، مع استعمال

(١) أوصيكم بالشباب خيراً ٨ ، وقد أشار رحمه الله في الجزء الأول من خطوات على طريق الدعوة

١٠٠ ، إلى اشتراكنا في ندوة الصومال عن اللغة العربية .

(٢) انظر - مثلاً - خطوات على طريق الدعوة ١٣ .

الشوكة والسكين، حيث تقطعون بالشمال، وتتناولون الطعام باليمين .
خلافًا للطريقة الإفرنجية . وها أنا أمامكم أفعل ذلك . أقطع بالشمال
وأكل باليمين^(١) .

وبشأن تقصير المسلمين في زيارة أماكن مآسي المجاعة في أفريقيا
مثلاً نقل الأستاذ أحمد قول زائر لتلك المخيمات أو الأماكن بأن «الدول
والمؤسسات المسيحية تقدم مساعداتها إلى هؤلاء المساكين بصورة ظاهرة
ومكررة، حتى إنه لما زار أحد المخيمات استقبله الأطفال بقولهم : خوجة
خوجة، ظناً منهم لغلبة مايرون من المسيحيين أنه منهم ! فقد تعودوا ألا
يروا إلا هؤلاء الخوجات»^(٢) .

ومن لطيف المصادفات أني في أثناء كتابة هذا الجزء من الدراسة
التقيت بالشيخ الفاضل السيد سابق الذي كان أحد الأساتذة الذين
شاركوا في الدورة التي عقدتها رابطة العالم الإسلامي لتدريب الأئمة
والدعاة في الصومال من ١٥/٨/١٤٠٠ إلى ١٥/٩/١٤٠٠ هـ^(٣)
وأخبرت الشيخ السيد سابق بأني بصدد كتابة دراسة عن رحلات الأستاذ
أحمد جمال الإسلامية ومما أرغب في توضيحه عمل الأستاذ أحمد جمال
بالرأي الراجح وإن أخذت الجماعة بالرأي لأسباب وجيهة وذكرته بأخذ
فريق منا بالرأي الذي يتم معه المسافر، وقد أخذ أكثرنا بهذا الرأي وكان
الشيخ سيد سابق إمامنا، وأخذ الفريق بالرخصة وقصر الصلاة بسبب
السفر، وكان الأستاذ أحمد جمال إمام هذا الفريق . لقد قال لي الشيخ السيد

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢٢، وانظر أوصيكم بالشباب خيراً ص ١٦١ .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٥٨ .

(٣) خطوات على طريق الدعوة ٩٣/١

سابق^(١) إنه يذكر ذلك الموقف جيداً وقال إن للعلماء في مثل هذه المواقف الكثير من آراء ، ونحن في ذلك السفر بسبب الحل والترحل واجتماع المسافرين والمقيمين قصرنا أحياناً وأتمننا أحياناً أخرى . أما الأستاذ أحمد جمال فقد أخذ برأي واحد وهو القصر . واللطيف في الأمر أننا بعد أن أنهينا صلاتنا أقام الذين أخذوا بالقصر صلاتهم ، لقد كان ذلك درساً تطبيقياً لحاضري الدورة في ساحة الإسلام وكونه دين اليسر لا العسر .

والحقيقة أن صراحة الأستاذ أحمد جمال تتسم بالجرأة . وأنا شخصياً احتفظ بأكثر من رسالة صريحة له رحمه الله . ولما كانت صراحته المتعلقة برحلاته الإسلامية قد تضمنتها بعض مؤلفاته فإني أكتفي بالإحالة إلى بعض الصفحات التي فيها صراحة في تلك المؤلفات . في الإمكان الوقوف من كتاب «خطوات على طريق الدعوة» على نماذج من هذه الصراحة في صفحة ٤٢ و ١٥٢ وفي الجزء الثاني من خطوات على طريق الدعوة في الصفحات ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ . ومن كتاب : أوصيكم بالشباب خيراً صفحة ١٧٧ و ٢٤٠ إلى غير ذلك من الصفحات .

(١) كان ذلك صبيحة يوم الثلاثاء ٧/٢٩ ١٤١٤ هـ وبعد كتابة المقدمة قرأت على فضيلة الشيخ السيد سابق هذه السطور بواسطة الهاتف فأحازها وكان ذلك صبيحة يوم الأربعاء ٨/١٤١٤ هـ .

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

من جليل الموافقات أن يطلب مني القائمون على شؤون سلسلة كتاب دعوة الحق في رابطة العالم الإسلامي أن أسهم بالكتابة عن الأستاذ أحمد محمد جمال ورحلاته الإسلامية حيث إني كنت رفيقه تغمده الله تعالى بواسع رحمته في آخر رحلة جوية له في حياته من جدة إلى القاهرة .
شاء الله تعالى أن أحجز أنا وزوجتي في رحلة السعودية الصباحية في يوم الأحد الموافق للثاني من شهر ذي الحجة عام ١٤١٣ هـ من أجل متابعة طبع كتابي : تأملات في سورة البقرة ، كما أننا أكدنا الحجز للعودة في رحلة السعودية المسائية في يوم الخميس الموافق للسادس من شهر ذي الحجة بنية أداء الحج . وفي مطار الملك عبدالعزيز الدولي بجدة حينما دخلت العربة التي تحملنا من مبنى المطار إلى الطائرة فوجئت بالأستاذ أحمد محمد جمال قاعداً في أحد المقاعد يتبادل الحديث مع الأخ الكريم الأستاذ زهير محمد جميل كتبي . لقد كان اللقاء مفاجئاً ومبهجاً لي ، كما كان مفاجئاً ومبهجاً للأستاذ أحمد ، فقد بعد العهد بلقاءنا السابق الأخير لذا كان العناق حاراً . ولم يدر بخلدي - وأحسبه لم يدر بخلده يرحمه الله - أن ذلك العناق هو الأخير في هذه الحياة الأولى . وواصلت سيري في العربة حتى وجدت مكاناً شاغراً ، وانصرف كل إلى شؤونه . ولم تقع عيني بعد ذلك على الأستاذ أحمد ، المعروف ، بحرصه على ارتداء الزي العربي الكامل ، وبخاصة في أثناء السفر ، إلا في مطار القاهرة . لقد كان رحمه الله تعالى واقفاً في أحد صفوف القادمين لإنهاء إجراءات الوصول ويمسك بيد شخص كبير السن عرفت أخيراً أنه شقيقه والذي سكن معه في القاهرة

في الشقة التي تغمده الله تعالى برحمته فيها .

لم ألتق بعد ذلك بالأستاذ أحمد جمال . وعدت إلى جدة مساء يوم الخميس السادس من شهر ذي الحجة . وأكرمنا الله تعالى بأداء الحج . ولما كانت بعض المجلات والصحف تأتيني تباعاً فقد كانت لقاءاتي بالأستاذ أحمد جمال في تلك الأثناء عن طريق مؤلفاته التي تضم مكتبتي أكثرها ، وعن طريق المجلات والصحف ، وبخاصة العالم الإسلامي ، الجريدة الأسبوعية التي تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي ، فإن هذه الجريدة تصلني بانتظام والله الحمد والمنة . وإن من آخر ما قرأت للأستاذ أحمد جمال في هذه الصحيفة أجوبته عن مجموعة من الأسئلة في أحد الأعداد الأخيرة منها ، ومن بين الأسئلة التي طرحت عليه رحمه الله تعالى سؤال عن قراءة القرآن على الميت وهل يصل الميت تلك القراءة بإذن الله تعالى ، ، وكان جواب الأستاذ أحمد بأن ثواب قراءة القرآن الكريم يصل الميت بإذن الله تعالى .

بعد وقوفي بعرفات والمشعر الحرام بالمزدلفة ورمي جمرة العقبة والعودة إلى منزلي بمكة يوم النحر وكان ذلك يوم الإثنين من الأسبوع وهو اليوم الذي أختتم فيه ، بفضل الله تعالى مصحفي الأسبوعي ، كنت بعد صلاة العصر أتلو الحزب الأخير من المصحف الشريف . لقد جرت عادة زوجتي حفظها الله تعالى حينما تقف على نبأ جليل يهمني أن تدنو مني في رفق وأن تمهد لذلك النبأ ، وأن تحوم حول الموضوع ، وأن تتدرج في الوصول إلى ذكر الحقيقة أخيراً . ولما كان قد وصلها في تلك الأثناء عبر الهاتف نبأ وفاة الأستاذ أحمد جمال وتأكدت بطريقتها من صحة ذلك النبأ دنت مني وبدأت تتكلم وتجذب انتباهي إليها تدريجياً . ولما كنت قد

تعودت منها هذا الإحساس المرهف والإحسان في التصرف وهذه المشاطرة الوجدانية بشأن الأمور التي تهمني ، ولما كانت على علم بكبير حبي للأستاذ أحمد وعظيم تقديري له ووثيق الصلة بيننا فقد بذلت مجهوداً نفسياً وذهنياً كبيرين من أجل إيصال هذا النبأ الجلل خاصة في الوقت الذي كنت أقرأ القرآن الكريم ، ثم إنها - حفظها الله - كانت شاهدةً لقاءنا الحار الأخير في مطار جدة قبل أيام قلائل .

لم أملك حينما بلغني النبأ الجلل إلا أن أبادر إلى القول : ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ امتثالاً لقول الحق جل وعلا^(١) : ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ .

لقد دعونا الله تعالى أن يتغمد الفقيد برحمته ، وأن يسكنه فسيح جناته . وأن يعوض الإسلام خيراً في فقد هذا العالم الجليل ، الغيور على دينه ، المدافع عن إسلامه وعروبته ، الجريء في قول كلمة الحق ، المبادر إلى نصره كل مظلوم مهما يكن الثمن والتضحيات ، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم .

وأخذاً بعجواب الأستاذ أحمد جمال على السائل ورأيه - الذي هو رأيي - بأن سؤال العبد ربه جلّ وعلا أن يهب ثواب ما تلا من قرآن كريم لروح الميت جائز إن شاء الله تعالى ، فإنني بعد أن ختمت المصحف وتلوت الفاتحة وخمس آيات من سورة البقرة دعوت الله تعالى أن يهب ثواب المصحف الذي قرأت لروح الأستاذ أحمد محمد جمال رحمه الله رحمة واسعة . آمين .

(١) سورة البقرة الآيات ١٥٥-١٥٧ .

رحلات إسلامية

كان الأستاذ أحمد جمال في أكثر رحلاته الإسلامية مبعوثاً من رابطة العالم الإسلامي لتمثيلها في المؤتمرات العلمية، واللقاءات الفكرية، والندوات الطلابية، والدورات التعليمية، وما إلى ذلك. وبشأن هذه الرحلات الإسلامية أخرج الأستاذ أحمد جزئين اثنين تحت عنوان: خطوات على طريق الدعوة، وقد حمل الجزء الأول رقم (٨٢) في سلسلة دعوة الحق التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي والتي كان يشرف على إصدارها.

ولما كان الجزء الأول كبير الحجم إذ إنه يقع في أكثر من ثلاثمائة صفحة، وكان الجزء الثاني كبير الحجم كذلك فقد ظهر هذا العمل الآخر في جزئين اثنين، أحدهما يحمل العدد رقم (١٢٩) من سلسلة دعوة الحق. وآخرهما يحمل الرقم (١٣٠) ويلاحظ أن الحديث عن الرحلة إلى كينيا في الجزء الثاني من الجزء الثاني من خطوات على طريق الدعوة ٨٧-١٠٢ يكاد يكون ذات الحديث الذي يحمل العنوان ذاته في القسم الأول من خطوات على طريق الدعوة ٩٤-١١٠ وتكاد تقتصر الزيادة على ماجاء في الصفحات ٩٦-٩٩ تحت عناوين فرعية: السيرة النبوية. نشاط الجالية الهندية والباكستانية، النشاط الصليبي.

ولم تقتصر: خطوات على طريق الدعوة على الإسهامات الخارجية، إنما اشتملت كذلك على: «بعض المحاضرات أو الندوات التي ساهمت

فيها بأحاديث في موضوعات تربوية واجتماعية وفكرية وأخلاقية داخل المملكة في الجامعات أو المؤسسات العلمية والأمنية والدينية»^(١).

وقد اشتمل الجزء الأول من خطوات على طريق الدعوة على رحلاته إلى تونس، وإلى مصر، وكان هذا أول بحث تبعت رابطة العالم الإسلامي إليه الأستاذ أحمد وذلك سنة ١٣٩١ هـ على عهد أول أمين لرابطة العالم الإسلامي وهو الشيخ محمد سرور الصبان تغمدته الله تعالى بواسع رحمته، ممثلاً للرابطة في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة^(٢) وإلى إسبانيا، والصومال، وموريتانيا، وأستراليا، وكينيا، والجزائر، وبريطانيا، وغانا، وعمان.

هذا إلى تخصيص الفصل الثاني من الكتاب عن الخطوات في داخل المملكة.

كما اشتمل الجزء الثاني بقسميه من كتاب: خطوات على طريق الدعوة على رحلاته إلى باكستان، والسودان، ولبنان، وأستراليا، وماليزيا، وأمريكا، والصومال، ويوغسلافيا، وبريطانيا، وتركيا، ونيجيريا، وكينيا، واليونان، وأندونيسيا^(٣).

وفي هذا القسم الثاني من الخطوات لم يخصص الأستاذ أحمد فصلاً خاصاً بالخطوات في داخل المملكة كما فعل في القسم الأول إنما جعل الحديث عن الخطوات خارج المملكة محور حديثه ثم ألحق به الأشباه والنظائر من الخطوات داخل المملكة. فعلى سبيل المثال تحدث تحت

(١) خطوات على طريق الدعوة ص ٥.

(٢) خطوات على طريق الدعوة.

(٣) خطوات على طريق الدعوة ١/٧ و ٢/٦.

عنوان : في باكستان كان التدريب على الدعوة الإسلامية^(١) عن تجربته الأولى في حقل الدعوة ومما جاء فيها^(٢) : «والحقيقة أن لي ذكريات جمّة عن الدعوة . في مقدمتها البداية التي أخذت بالتدرب فيها على الخطابة المباشرة ، أي بدون القراءة من ورقة مكتوبة . فالخطابة المباشرة ضرورية لنجاح الداعية ، لأنها تجتذب أنظار المستمعين وأسماعهم وأفكارهم ، فهم يتجهون بكل أرواحهم وأجسادهم إلى الخطيب الذي ينظر إليهم ويحدثهم مباشرة كما يحدث المحاور محاوره» كما جاء فيها^(٣) :

«وهكذا تكون الندوة العالمية للإسلاميات ، في باكستان ، هي البداية لتدربي على الدعوة الإسلامية . وقد فتح الله الفتاح العليم على فساهمت في كثير من المؤتمرات والندوات داخل بلادي وخارجها . . . » وبعد ذلك يتحدث الأستاذ أحمد عن تجربة داخلية مماثلة فيشير إلى مشاركته في مؤتمر الدعوة والدعاة الذي عقدته سنة ١٣٩٧ هـ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكان عنوان محاضراته : الميدان الأول للدعاة الإسلاميين . ومع اشتغال المحاضرة على عدد من القضايا فإنها تدور حول محور واحد هو أنه ينبغي للمهتمين بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقصروا دعوتهم على مجتمعاتهم بدلاً من بعث أفراد أو جماعات إلى بلاد أوروبية وأمريكية وأفريقية وآسيوية من أجل الدعوة إلى الإسلام لأن حق هذا النوع من الدعوة التأخير ولأن الأولى بالتقديم أن تتجه الدعوة إلى الداخل أولاً ثم تتحول إلى الخارج^(٤) .

وأنا شخصياً لا أرى رأي الأستاذ أحمد . والمعروف أن بعض الذين

(١) انظر مثلاً خطوات على طريق الدعوة ١ / ٣٢ و ٣٢٠ وأوصيكم بالشباب خيراً ٢٠٤ و ٢٠٥ .

كان كاتب هذه السطور مشاركاً في هذا المؤتمر ، وطبع ضمن أعمال المؤتمر .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١ / ٢٧ .

(٣) خطوات على طريق الدعوة ١ / ٢٧ . (٤) خطوات على طريق الدعوة ١ / ٢٩ .

هداهم الله تعالى إلى الإسلام قد قدموا إسهامات مشكورة ومأجورة إن شاء الله تعالى في سبيل تصحيح مسار الأمة الإسلامية في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية على السواء . فعلى سبيل المثال مؤسس جماعة تحفيظ القرآن الكريم في الباكستان أولاً وفي مكة المكرمة آخرها ينحدر من أسرة اعتنقت الإسلام أخيراً . وإن الأسماء الالامعة في سماء خدمة الإسلام من بين الذين اعتنقوا الإسلام أخيراً أكثر من أن يأتي عليها الحصر ومنهم على سبيل المثال الأمريكي المهتدي مالكم إكس رحمه الله تعالى رحمة واسعة . وهو من أصل زنجي ، وقد حضرت بعض المحاضرات التي ألقاها في لندن سنة ١٩٦٥م قبيل استشهاده وما أعلنه حرصه على نشر الإسلام ليس في أمريكا وحدها بل وفي الصين . ومنهم يوسف إسلام الذي كان مشهوراً في عالم الغناء في بريطانيا باسم كاتراستفن وما أجل خدماته الإسلامية .

والحقيقة أنني بشأن الاهتمام بالدعوة في الداخل والخارج على السواء استذكر دائماً قول الحق جل وعلا في سورة النساء^(١) ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ إن على المسلم بشأن المال أن يتركه كما قسمه الله تعالى في هيئة الميراث والألحاجي أحداً رجاء نفعه مستقبلاً ولو كان أباً أو ابناً لأن في المحابة اعتداء على أحكام الله تعالى وظلماً لعباد الله تعالى . وإنا بشأن الدعوة إلى الله تعالى نأمل في الخير أن يأتي بإذن الله تعالى من القريب والبعيد على حد سواء ، ومن ثم فالدعوة مطلوبة في الداخل والخارج معاً .

وتكاد تكون هذه نقطة اختلاف وجهتي النظر الوحيدة بيني وبين

الأستاذ أحمد محمد جمال تغمده الله تعالى بواسع رحمته ورضوانه .

وبعد حديث الأستاذ أحمد عن محاضراته يتحول إلى الحديث عن متعلقات المحاضرة التي ألقاها من تعليقات واقتراحات وما إلى ذلك ^(١) وهكذا يسير القسم الثاني بجزئيه .

والحقيقة أننا حينما نقارن بين رأي الأستاذ أحمد بأن نخلص الدعوة للدخل ابتداء وبين رحلاته الإسلامية التي كانت دعوة في الخارج كأننا نتبين عودة عملية عن ذلك الاقتراح النظري الذي لم يعمل به الأستاذ أحمد نفسه ، ويصح أن يكون هذا الرأي مرحلياً ، بمعنى أن الأستاذ أحمد كان يراه وقتاً من الأوقات ثم عدل عنه . ويصح أن يفهم من رأي الأستاذ أحمد أن العناية بالعالمين العربي والإسلامي من ناحية الدعوة بقصد عودة المجتمع العربي الإسلامي إلى الصراط المستقيم الذي خرج في مجموعه عنه ، ينبغي أن تكون هي الأكبر ^(٢) .

(١) انظر مثلاً خطوات على طريق لدعوة ١/ ٣٣-٣٥ .

(٢) انظر هنا . أوصيكم بالشباب خبر ٢٠٤ و ٢٠٥ .

عنايته بالشباب

ما أشد عناية الأستاذ أحمد جمال بالشباب واهتمامه بهم والحوار معهم مشافهة في أثناء التدريس واللقاءات الفكرية أو عن طريق القلم بالكتابة في المجلات والصحف وما إليهما . ومن أقوى الأدلة على اهتمامه بالشباب كثرة الحديث عنهم وعن مشكلاتهم والإجابة عن أسئلتهم والتوجيه لهم والأخذ بأيديهم ولفت الانتباه إليهم . ولا أدل على كل ذلك من تخصيصه ثلاثة كتب عن الشباب هي : من أجل الشباب ، والشباب : دراسات ولقاءات ، وأوصيكم بالشباب خيراً^(١) .

وعناية الأستاذ أحمد جمال بالشباب تشمل شباب الأمة العربية والإسلامية عموماً وشباب المملكة العربية السعودية خصوصاً . وإن كثيراً من اهتمامه بالشباب تجلّى في اشتراكه في ندوات ومحاضرات عن الشباب ، وفي الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الشباب والأسئلة التي تتعلق بالشباب .

وإن من أمتع وأنفع الندوات الشبابية في حياته رحمه الله هي تلك التي عقدها مؤتمر الاتحاد العالمي للطلاب المسلمين في إسبانيا في ١٥ / ٨ / ١٣٩٤ هـ والتي مثل فيها رابطة العالم الإسلامي^(٢) ، وكانت محاضرة الأستاذ أحمد في موضوع : الشباب والدعوة الإسلامية^(٣) ، وقد قال الأستاذ أحمد بشأن تلك الندوة : «وكان المهم ، بل الأهم ، مادار من نقاش بين المحاضرين ، وما وجهه الطلاب والشباب من أسئلة وما عرضوه من مشكلات ، وما أجاب به الحاضرون .

(١) أوصيكم بالشباب خيراً ٢٥ .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٢٣

(٣) خطوات على طريق الدعوة ١٢٣ .

وكانت - بحق - ندوة شبابية طلابية نافعة ناجحة، حيث التف الشباب بالمحاضرين، ونفضوا بين أيديهم ما في صدورهم من مشكلات وشبهات.

وهي في نظري - أمتع وأنفع ندوة شبابية طلابية شهدتها حتى اليوم. وحبذا لو كانت ندواتنا ومراكزنا الشبابية تنشط على هذه الصورة الحيوية من لقاءات واجتماعات مع رجال الفكر الإسلامي، تسودها رحابة الصدور، وصدق النصيحة، ومودة التفاهم على حل المشكلات الشبابية والشبهات الفكرية والأخلاقية»^(١).

والشباب في نظر الأستاذ أحمد هم بإذن الله تعالى أمل الإنقاذ، ورجاء الخلاص مستقبلاً^(٢) «أجل، لكي نعيد الشخصية العربية الإسلامية الأصيلة إلى عقول المسلمين عرباً وعجماً، وإلى ألسنتهم ووجوههم وهيئاتهم يجب أن نبدأ من الآن بالشباب ليبدلوا غداً ما نشكوه، ويحققوا ما نرجوه»^(٣) «ولكن المطلوب، بل المفروض على مؤسسات الأمن العام في المجتمعات العربية، ووزارات التربية والتعليم، وما يسمى بوزارات الثقافة والشباب ووزارات الإعلام أن تهتم بالأعداد للمستقبل، أعني بتدراك الشباب العربي في مجالات التربية والتعليم والثقافة والإعلام والرياضة، وهو في مرحلته الخطيرة، مرحلة النمو والتلقي والافتداء، وتوجيهه وجهة الخير والبر والتقوى، وإبعاده عن المؤثرات والمغريات الحضارية الوافدة من شرق أو غرب وتحصينه بثقافة إسلامية وثيقة يستطيع أن يواجه بها ما سميناه الغزو الفكري والخلقي لثراثنا العقدي والأخلاقي الأصيل النبيل»^(٤).

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢٥.

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٢٣.

(٣) خطوات على طريق الدعوة ١٢٣.

(٤) خطوات على طريق الدعوة ١٢٢.

«ولوأنا رجال كلمة وتعليم وإعلام في العالم الإسلامي،
والعربي بصفة خاصة تفرغنا واهتممنا وأخلصنا لقضية الشباب، ذكوراً
وإنثاً لصلح ما فسد من أمرنا، وقوي ما ضعف، واستقام ما اعوج.
وكان السبيل إلى عزة الإسلام وقوة المسلمين سهلاً ومضيئاً»^(١).

وما هي الوسيلة الناجعة لكسب الشباب بإذن الله تعالى؟

الأسوة الحسنة والرعاية الواعية والرقابة الكافية. لقد طرح على
الأستاذ أحمد جمال سؤال مترتب على المؤتمر الطلابي المتعقد في إسبانيا
ومتعلق بمشكلات الشباب في العالم الإسلامي وكيفية معالجتها. ومما
جاء في الجواب: «في نظري: أن الشباب المسلم يفتقد الرعاية الواعية
والرقابة الكافية والحرص اللازم من ولاية الأمور، آباء ومعلمين وحكاماً،
على تجنبه مهاوي التقليد الأعمى التي تفتح أمامه عن طريق الكتب
والمجلات والصحف والإذاعة والتلفاز والرحلات إلى خارج محيطه
الخاص، حيث التحلل من القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية.

إن الرعاية الموجودة للشباب المسلم في بلاده، وخاصة في المدارس
والجامعات، ليست كافية لردعه عن الانهيار النفسي، والانحدار
الخلقي، اللذين يعانیهما. ولن يخلص منهما عن طريق الندوات
والمحاضرات والمواظع والنصائح. وإنما يخلص منهما - كما أسلفت -
بالتربية التطبيقية الحازمة في كافة مجالاته وعلاقاته وحركاته وسكناته»^(٢).

وبشأن الطلاب المبتعثين يعني بهم الأستاذ أحمد جمال عناية بالغة.
وبشأن الأسئلة التي توجه إلى الشباب من قبل الخصوم والتي يحتاج

(١) خطوات على طريق الدعوة ٣٠.

(٢) خطوات على طريق الدعوة ٣٢ وانظر: «وصيكم بالشباب خيراً» ٢١٦ و ٢١٧.

الشباب للوقوف على أجوبتها وحقيقة البواعث على طرحها هو يرى في سبيل تسليح الشباب: «لا أقل من أن تهيأ دورة للطلاب المبتعثين قبل سفرهم إلى الخارج، يتسلحون خلالها بمعرفة حقائق الأديان الثلاثة، والفرق بينها، وحقائق المذاهب الضالة العصرية»^(١) والوقوف على أجوبة الأسئلة التي يطرحها غالباً غير المسلمين على المسلمين.

وبفضل الله تعالى قد تحققت في المملكة العربية السعودية هذه الدورة للمبتعثين. إن كل طالب يهيأ للابتعاث عليه حضور تلك الدورة التي تعقدها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لهذا الغرض.

ومما أوصى به مساعدة للمبتعثين من الشباب وأخذاً بأيديهم إلى سواء السبيل بإذن الله تعالى اقتراحه إنشاء بيوت إسلامية للطلاب في أوروبا وأمريكا. يقول رحمه الله في هذا المعنى: «ينبغي للدول العربية والإسلامية أن تشيء لطلابها في أوروبا وأمريكا بيوتاً إسلامية يقيمون فيها أو يترددون عليها. بحيث يجدون في نظامها الإجتماعي والأخلاقي والديني جوبلادهم وأمتهم»^(٢).

وتحقيقاً للهدف ذاته وهو السعي لربط طلابنا في الخارج بمبادئنا وديننا الحنيف يقترح في المحيط العائلي الإكثار من المراسلات الخاصة بين الطالب المبتعث وبين أهله الذين يستطيعون عن طريق المراسلات القيام بالدور الإرشادي والتوجيهي.

ويقترح في المحيط الصحافي تزويد الطلاب بالصحف المحلية عن طريق الملحقين الثقافيين، ويقترح في المحيط الحكومي تزويد الطالب

(١) أوصيكم ناشبات حبر ٢١٠

(٢) أوصيكم ناشبات حبر ١٢٩

بعض الكتب والمنشورات التي تعتبر بمثابة سلاح الطالب في طريقه الطويل ورفيقه الأمين في غربته^(١) ويكون هذا التزويد بالكتب القيمة موصولاً^(٢).

وتجاه الحرب الموجهة إلينا نحن المسلمين وبخاصة الشباب والمرأة يكرر النداء بالاستمسك بتعاليم ديننا الحنيف. ومما جاء في هذا المعنى القول: «ولست هناك مواجهة صالحة وناجحة وفعالة لهذا التحدي الأثيم اللئيم الموجه إلينا من أعداء الإسلام إلا العودة إلى العقيدة الإسلامية، وشريعته العادلة الفاضلة، وأخلاقيها القويمة»^(٣).

ومن الطبيعي أن ينال شباب المملكة وشاباتها اهتمام الأستاذ أحمد جمال. ومن منطلق المعلم الغيور والأب الحنون يقترح أمام عجز الجامعات الضخام السبع والكليات الكثر الحكومية عن استيعاب جميع خريجي المرحلة الثانوية وخريجياتها يقترح إنشاء جامعات أهلية، هذا إلى تطوير المعاهد الصحية والمهنية والفنية إلى مستوى كليات جامعية^(٤) كما يقترح إنشاء مدارس لأولاد السفراء في البلاد التي يقيمون فيها في قارات الدنيا^(٥).

وإن من أجل اقتراحات الأستاذ أحمد للأخذ بيد الشباب السعودي حديث العهد بالتخرج هذا الاقتراح: «وبهذه المناسبة نأمل من ديوان الخدمة المدنية - بالاشتراك مع المسؤولين في جامعاتنا - إعادة النظر وتفهم

(١) انظر أوصيكم بالشباب خيراً ١٢٨.

(٢) انظر أوصيكم بالشباب خيراً ٢٢٨.

(٣) أوصيكم بالشباب خيراً ١٩٥.

(٤) انظر: أوصيكم بالشباب خيراً ١١٢ ١١٤.

(٥) انظر: أوصيكم بالشباب خيراً ١١٤.

حاجة المتخرجين الشديدة إلى رفع مرتباتهم من السادسة إلى الثامنة على أقل تقدير- لتمكينهم من الزواج الذي يلبون به نوازعهم الطبيعية ، و يقيمون عليه بيوتهم السعيدة ، وينجبون ذريتهم الرشيدة ، وتستقر نفوسهم ، وتحسن أعمارهم ، وتخلص قلوبهم وجوارحهم تجاه أمّتهم ودولتهم .

وإلى جانب هذا الأمل في إنصاف المتخرجين ، نرجو أن يكون هناك اقتداء من الدولة بجاراتها في الخليج العربي ، بمنح المقدمين من الشباب على الزواج هبات مالية تعينهم على مستقبل حياتهم الزوجية^(١) . وهكذا كانت عناية الأستاذ أحمد جمال بالشباب شاملة للشباب العربي المسلم في كل مكان ، في الداخل والخارج على حد سواء .

(١) أوصيكم بالشباب خيراً ٢٣٩ .

عنايته بالمرأة

حينما عني الأستاذ أحمد جمال بالشباب كان يريد الجنسين ، الذكور والإناث على حد سواء . ولما كانت المرأة على جهة الخصوص هدفاً من أهم أهداف الخصوم من أجل حملها على الخروج عن الصراط المستقيم فقد كانت من الأستاذ أحمد جمال اهتمامات كبيرة في التصدي لتلك الحملات المغرضة . ومن بين كتاباته عن المرأة الكتاب الخاص بها والذي يحمل هذا العنوان : مكانك تحمدي . ولما كانت هذه الدراسة تركز على رحلات الأستاذ أحمد جمال الإسلامية وبعض اهتماماته في تلك الرحلات ، ولما كانت المرأة قد اهتم بها رحمه الله في رحلاته الإسلامية ولقاءاته الفكرية ، فلإني أود أن أشير هنا إلى بعض مظاهر هذه الاهتمامات .

بما أن على الأمة الإسلامية أن تعود إلى بارئها جل وعلا كي يعود إليها مجدها الغابر بإذن الله تعالى فإن مسؤولية هذه العودة شركة بين كل من الرجل والمرأة . وما قاله رحمه الله في هذا المعنى : « يجب أن تعود المرأة في المحيط العربي والإسلامي إلى عقيدتها وشريعتها حين تتزوج وحين تنجب وحين تلبس ، وحين تخرج وحين تتكلم ، وحين تستمع .

وقد ذكرت المرأة لأنها المحور الذي يدور حوله أعداء الإسلام ، لفتنة المسلمين ، وشغلهم بالشهوات والملذات عن مهام الأمور ومعاليها ، وعن الأخطار المحدقة بهم المسددة إليهم من هؤلاء الأعداء الألداء»^(١) .

(١) خطوات على طريق الدعوة ٢٩ وانظر صفحة ٨٨ و١١٧ و١١٨ بشأن الحجاب .

ولما كان الإسلام لا يمنع من أن تتعلم المرأة وتعمل ولكنه ينهي عن الاختلاط فإن الأستاذ أحمد جمال يحذر من اختلاط النساء بالرجال . ومما قال في هذا المعنى : «والإسلام لا يمنع - كما قلنا مراراً - من أن تتعلم المرأة وأن تعمل ، ولكن بشرط عدم الاختلاط مع الرجال . وهذا مايجري - بحمد الله - في المملكة العربية السعودية حيث الانفصال الكامل بين الجنسين في مجال التعليم والعمل .

وإذن فقد أعطينا المرأة حقها في التعليم وفي العمل ، في حدود الشريعة الإسلامية ، وفي نطاق مصلحتها ومصلحة المجتمع ، حيث امتنع الفساد الذي ينجم عن الاختلاط المطلق ، كما هو واقع في المجتمعات الأخرى .

كما استفدنا - في الوقت نفسه - بتعليم المرأة وعملها في القطاع النسوي ، كالمدارس والجامعات والمستشفيات وغيرها»^(١) .

والمرأة مسؤولة عن تربية أولادها كالرجل تماماً : «بل إن القسط الأكبر مطلوب منها ، لأنها أكثر معاشرة للأولاد في البيت من الأب» .

وقد أكد التوجيه النبوي حقيقة اشتراك الأبوين في مسؤولية تربية الأولاد في قوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٢) .

وفي سبيل تبيين الدور العظيم للمرأة التي ترعى شؤون زوجها وأطفالها وبيتها ما أكثر استشهاد الأستاذ أحمد جمال بجواب المصطفى ﷺ رداً على سؤال وافدة النساء أسماء بنت زيد^(٣) لقد جاءت وافدة النساء

(١) أوصيكم بالشباب خيراً ٢٢٢ وانظر خطوات على طريق الدعوة ٨٧-٨٩ .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ٨٩ .

(٣) انظر مثلاً : خطوات على طريق الدعوة ١ / ١٠٧ وخطوات على طريق الدعوة ٨٦ و٢٣٧ .

النبي ﷺ لتسأله عن مقام المرأة وعاقبة المرأة . وهي حامله الأولاد وقعيدة البيت وحافضة المال والعرض ، بينما الرجل يمتاز عليها بالجمعة والجماعة والإنفاق من ماله وبالجهاد في سبيل الله ، وليس بيدها من ذلك شيء !! لقد قال لها ﷺ : يا هذه اعلمي وأعلمي من خلفك من النساء أن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله»^(١) .

«وحسن التبعل هو أداء المرأة لواجب الزوجية والأمومة بأمانة وصدق» .

ذلك لأن مهمة الزوجية وواجب الأمومة ليسا يسيرين أو ثانويين ، بل هما أساس قيام المجتمعات السوية القوية ، السعيدة الرشيدة . إن البيوت التي يشقى أزواجها ، ويضل أبنائها ، من المستحيل أن ينشأ عن مجموعها مجتمع سعيد رشيد»^(٢) .

(١) خطوات على طريق الدعوة ١/ ١٠٧ .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ٨٦ .

غيرته على اللغة العربية

غيرة الأستاذ أحمد جمال على اللغة العربية شديدة لأنها لغة القرآن الكريم وسنة المصطفى ﷺ . وأنت حينما تقرأ ما كتب الأستاذ أحمد وما ألقى من كلام في المحاضرات والندوات والمحاورات تتبين حظ اللغة الموفور من العناية في كل المناسبات وعلى جميع المستويات .

إنه يعنى بالتلاميذ وهم عماد شباب هذه الأمة وأملها الباسم بإذن الله تعالى . ومما قال في حقهم بشأن دروس العربية والدينية كذلك : « وفي مناهج التربية والتعليم عمت البساطة والسهولة والصداقة المتسامحة بين المعلمين والطلاب ، ونودي بتيسير قواعد العلوم والآداب . فكان ثمرة ذلك تعطيلاً للمكات الدرس والفهم والتفكير في الطلبة . إلى جانب ما ألهيناهم به مع قصر فترة الدراسة ، من أنشطة سمينها اجتماعية وفنية ، ورحلات سياحية ، ودورات زعمناها تدريبية أو تربوية . بالإضافة إلى تقليل حصص الدروس العربية والدينية . حتى رأينا الطالب الثانوي لا يستطيع أن يقرأ آية من القرآن صحيحة النحو سليمة الترتيل . بل لا يستطيع أن يقرأ بيتاً من الشعر أو فقرة من النثر ، مما سبق أن درسه على أيدي معلميه - الأكابر - إلا أن يخطيء في ذلك نحواً ونطقاً »^(١) .

ولما كانت اللغة العربية عماد الثقافة الإسلامية وكان القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين وكانت سنة المصطفى ﷺ هي المينة للقرآن الكريم وكان الجانب القولي منها بلسان عربي مبين فإن الأستاذ أحمد

(١) خطوات على طريق الدعوة ١٨٩ .

جمال في سبيل الحث على التفقه في علوم القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية المطهرة بحث الأساتذة والطلاب على مواصلة طلب العلم، ومما قال في هذا الشأن: «أي أن الثقافة الإسلامية تنقص المسلمين وبخاصة الشباب. بل إنها تنقص حتى المتخصصين في علوم الشريعة والعقيدة، لأن هؤلاء، مع الأسف الشديد، يكتفون بما حفظوه من نصوص وقواعد، وأصول ومبادئ، ويعتزون بما حملوه من شهادات عليا في هذه التخصصات، ولكنهم لا يحاولون أن يتفقهوا في حقيقة الدين الإسلامي، وتطبيقاته في سلوك النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ومن تبعهم من الولاة والأمراء والأئمة والفقهاء»^(١).

ولما كانت مقررات مجامع اللغة العربية لا تكاد تصل إلى الخاصة فضلاً عن العامة فقد قال الأستاذ أحمد بشأن هذه المقررات: «الذي لفت نظري واستدعى تعليقي هنا على المجامع اللغوية العربية هو أن الجماهير في الدول العربية والإسلامية، وفي مقدمتهم طبقات المثقفين على اختلاف مجالاتهم من علماء وأدباء وصحافيين وطلاب علم ومدرسين، لا يعلمون شيئاً عن مقررات هذه المجامع، لأنها تنشر في مجلات دورية، سنوية في الغالب، وتهدى أو تباع للمؤسسات العلمية الكبرى من جامعات وغيرها لتحفظ في المكتبات دون أن يطلع عليها حتى أساتذة الجامعات وطلابها!»^(٢).

وكانت دعوة الأستاذ أحمد حارة لنشر اللغة العربية في الخافقين وتعريب الشعوب الإسلامية وبخاصة تلك التي انضمت إلى جامعة الدول العربية كالصومال. وكان حظ الصومال من رحلات الأستاذ أحمد

(١) خطوات على طريق الدعوة ٧٦ / ٢ وانظر: أوصيكم بنسباب خـ

(٢) خطوات على طريق الدعوة ١٥٣

الإسلامية موفوراً، فقد كان من نصيبه أكثر من رحلة . ومما لفت انتباهه بشأن الصومال عراقة اللغة العربية فيه منظوقة ومكتوبة . فقد لاحظ مثلاً- في أثناء الزيارة للمتحف القومي : «أن الخطابات الموجهة من سلاطين الصومال الغابرين إلى السلطات الاستعمارية كانت مكتوبة باللغة العربية حرفاً ومعنى . وذلك دليل على عراقة اللغة العربية في الشعب الصومالي»^(١) ولهذا كان سرور الأستاذ أحمد كبيراً بقرار مجلس وزراء الصومال بالعودة إلى تعريب الصوماليين ، وإلى الحروف العربية في كتابة اللغة الصومالية ، بعد أن استبدل بها الحروف اللاتينية قبل بضع سنين»^(٢) .

وحناءاً للخلف على النسج على منوال السلف في العناية باللغة العربية ووجوب مواصلة السير في الطريق الذي شقه السلف الصالح يتخذ من ملاحظاته على الشعب الكيني الذي يسهل تعلمه للغة العربية بسبب تغلغل اللغة العربية في أعماق لغات شرق أفريقيا على جهة الخصوص يتخذ من ملاحظاته مطية للعناية باللغة العربية وتعريب تلك الشعوب . بعد الإشادة بجهود الهنود والباكستانيين في نشر الإسلام يقول : «وأنا أضيف إلى الهنود والباكستانيين إخوتنا الحضارمة ، فإن المهاجرين منهم إلى كينيا وإلى بقية دول أفريقيا بصفة عامة ، قد أثروا في الأفارقة إسلامياً وعربياً تأثيراً كبيراً . ومن مظاهر هذا التأثير ونتائجه الباهرة مع الكينيين انتشار اللغة العربية بين المتزاوجين والمتناسلين من الفريقين .

(١) خطوات على طريق الدعوة ٣٩ .

(٢) خطوات على طريق الدعوة ٩٤ / ١ و نظر ١٠٠ - ١٠٤ و خطوات على طريق الدعوة .

وقد لاحظت - أنا شخصياً - سرعة تعلم الكيني للغة العربية عندما يحضر إلى المملكة للعمل والتكسب»^(١).

ومما عجب له الأستاذ أحمد اهمال المهاجرين العرب للغة العربية بحيث إن الجيل الأول يكاد يفقد اللغة العربية فكيف بالجيل الثاني أو الثالث وذلك على غرار ما صادفه في أستراليا^(٢) مثلاً. على حين يحرص غير العرب على تعلم اللغة العربية على غرار ما صادفه في سنغافورة^(٣) مثلاً. وقد علق الأستاذ أحمد على هذه المفارقات قائلاً: «كانت ظاهرتان: إحداهما تسوء، والأخرى تسر. لأن الأولى فيها العرب يستعجمون. والثانية فيها العجم يستعربون. أليس ذلك عجباً. عجباً متناقضاً بين مايسر ومايسوء؟»^(٤).

ولما كانت مسؤولية تعليم اللغة العربية ونشرها خطيرة وضخمة وتحتاج إلى تعاون الحكومات والمؤسسات الإسلامية فإن الأستاذ أحمد يهيب بتلك الجهات أن تقوم بمسؤوليتها. يقول: «إن البدء في الدعوة الإسلامية بتعليم اللغة العربية مهم جداً. . . لكل المسلمين في أفريقيا وآسيا عامة. وهي مسؤولية المنظمات الإسلامية المهمة بإرسال الدعاة والمدرسين والخطباء إلى هاتين القارتين كرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ودار الإفتاء بالرياض، والأزهر في مصر»^(٥).

ويتحسر الأستاذ أحمد على العرب الذين أصبحوا تبعاً للغرب في كل شيء حتى بعد الاستقلال. بل إن بعضهم أساء إلى العروبة

(١) خطوات على طريق الدعوة ٩٥.

(٢) خطوات على طريق الدعوة ٩١ و٦٥/١ و٦٠.

(٣) خطوات على طريق الدعوة ٩٢.

(٤) خطوات على طريق الدعوة ٩٣.

(٥) خطوات على طريق الدعوة ١٤٦.

والإسلام بأكثر من المستعمرين فإن من العرب بعد الاستقلال من حرم تعدد الزوجات ، ومن أباح الفطر في رمضان ، ومن ألغى المحاكم الشرعية ، ومن أحال الجامعات الدينية إلى مدنية^(١) وقد استدل الأستاذ أحمد على فضل العرب واللغة العربية بآراء فريق من العلماء منهم الإمام ابن تيمية^(٢) .

ومن أقواله التي تفيض أسى وحسرة القول : «أما مسلمو اليوم فإنهم عندما يرحلون إلى ديار غير ديارهم في أوروبا وأمريكا فإنهم يرون في إسلامهم خزيًا وعارًا ، فيتجدون من يلبسهم ، ويتشبهون بأهل تلك الديار ثياباً وكلاماً وأخلاقاً و: من تشبه بقوم فهو منهم . وليس منا من تشبه بغيرنا ، كما هو النذير النبوي المعروف»^(٣) والقول : «إن العرب وقد تخلوا عن دينهم وفقدوا أصالتهم لم يعودوا عرباً ، وإنما هم مقلدون فاشلون ، حيث لا عروبتهم حفظوا ، ولا بدينهم اعظوا ، ولا تقليدهم للغير أحسنوا»^(٤) .

(١) انظر - مثلاً - خطوات على طريق الدعوة ١٨٦ و ١٨٤ و ١٨٥ ، ٢٢١ ، ٨٤ .

(٢) انظر - مثلاً - خطوات على طريق الدعوة ١٨٠ - ١٨٣ و ١٠١ / ١ و ٦٢ / ٢ و ٧٤ و ٧٥ .

(٣) خطوات على طريق الدعوة ٣١ / ٢ و نظر: أوصيكم بالشباب خيراً ٢٨ .

(٤) خطوات على طريق الدعوة ١٩٧

الخاتمة

بفضل من الله تعالى ونعمه تحدثنا في الصفحات السابقة من هذه الدراسة وهي بعنوان : الشيخ أحمد محمد جمال ورحلاته الإسلامية عن بعض الأمور ذوات العلاقة بالدراسة تحت عنوان : تمهيد ، وعن رحلته الأخيرة إلى القاهرة التي لقي الله تعالى فيها تحت عنوان : «إنا لله وإنا إليه راجعون» وعن رحلاته الإسلامية بصفة عامة ، وعن نماذج من القضايا التي كانت تشغل باله عليه رحمة الله تعالى . وهذه القضايا هي قضايا الشباب والمرأة واللغة العربية . والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا العمل إنه جل وعلا أكرم مسؤول وأعظم مأمول . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . والحمد لله رب العالمين .

فهرست المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- (جمال) أحمد محمد :

● أوصيكم بالشباب خيراً . دعوة الحق . سلسلة شهرية تصدرها
رابطة العالم الإسلامي . السنة التاسعة . العدد ٩٥ العام ١٤١٠هـ
١٩٩٠م .

● خطوات على طريق الدعوة . دعوة الحق . السنة الثامنة . العدد
٨٢ العام ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م ،

● خطوات على طريق الدعوة . الجزء الأول . دعوة الحق . السنة
الحادية عشرة . العدد ١٢٩ . رمضان ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

● خطوات على طريق الدعوة . الجزء الثاني . دعوة الحق . السنة
الحادية عشرة . العدد ١٣٠ شوال ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

أنا وأحمد محمد جمال (رحمه الله)

بقلم الأستاذ الدكتور

عبدالصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى

للشؤون الإسلامية القاهرة - مصر

الفصل الرابع :

*** أنا وأحمد محمد جمال .**

*** رجل دعوة .**

أنا وأحمد محمد جمال

الشاعر الرقيق، والكاتب المقتدر، صاحب الكلمة والموقف والأفق
المستنير. . والداعية المستجاب له!!

كل أولئك . . هو الأخ الأعز، والصديق الذي قليل مثاله : أحمد
محمد جمال يرحمه الله، ونسأل له حسن المثوبة .

في أول علاقتي به كانت بيننا الكلمة . . قرأتها له في ديوانه الشعري
الذي غنى فيه للحب وللحق وللجمال والخير- ثم لكبرياء الإنسان!!

وكأنها أجفلت نفسي من هذا التواصل بين «الشاعر» وبين
«الداعية» . . بيد أني سرعان ما تذكرت أرق وأخلد الثلاثة الشهداء في
يوم «مؤتة» الشاعر الفارس «عبدالله بن رواحة» .

ثم تذكرت آخر الشهداء والشعراء والدعاة أيضاً في عصرنا الشهيد
سيد قطب، فهدأت النفس من نفرتها، وأخذ العقل يقلب الأمر، وكأنه
أمام ظاهرة تستوجب التأمل . . .

نعم هي ظاهرة . . لأن كثيرين ممن أحسنوا خدمة الإسلام، وكان
لهم في الدفاع عنه جهاد وجهود . . كثيرون من هؤلاء بدأوا شعراء
وأدباء، وانتهوا مشغولين بالإسلام أو حماة له . .

هكذا فعل شوقي الذي كانت أخرياته هي «إسلامياته» .

وهكذا فعل العقاد الذي كانت عبقرياته هي أخرياته . .

وهكذا فعل طه حسين ، وسيد قطب ، ومحمد متولي الشعراوي ،
وأحمد محمد جمال .

فهل لهذا دلالة؟

في تقديري أنه ربما كان من حكمة الحق سبحانه لإحكام صياغة
«الكلمة» المرشحة للدعوة ، والمقدّر لها ان تستجيش كوامن الشاعر
وصولاً إلى مستقرها في القلوب والعقول أن تصقل هذه «الكلمة بمهارات
وخبرات تفيدها من إبحار صاحبها في سفائن الحياة ودروبها ليأخذوا من
كل فن بطرف كي يكون على أطراف ألسنتهم أو ألسنة أقلامهم ، ما لا
يمكن أن تظفر بمثله إذا بقيت حبيسة التداول «المحدود» . . على ألسنة
العلماء والفقهاء . . أقول هذا وفي خاطري وفي سمعي كلمات قلت في
وصف ابن عباس رضوان الله عليه بأنه «نعم ترجمان القرآن» .

والثابت - في ترجمة ابن عباس - والسابق أيضاً في تكوينه الثقافي
أنه كان ذوّاقة للشعر ، وأنه كان يستنشده الشعراء في مسجد الرسول
صلوات الله وسلامه عليه .

نحن هنا أمام ظاهرة توشك أن تطرد : أن يكون أقدر الدعاة إلى الله
وأوفاهم وأدقهم تعبيراً عن عطاء دينه العظيم ، أولئك الذين تدركهم
«حرفة الأدب» فيسيحون في دروبه ، ويلحقون في أروقه وفراديسه ،
ويكتزون الدوران في رحابة ، حتى إذا حان ميعاد رسوهم على الشاطيء
المأمون عند النهاية . . كان شاطيء «الإسلام» هو الخاتمة والمستقر .

ترى . . هل بعد بنا الحديث عن «أحمد محمد جمال»؟

أنا أقول : لا .

بل إنني لأكثر اقتراباً من أغواره . ومن مكنون فكره وثقافته . فالرجل

بتأثير بدايته الشعرية كان سمح العبارة صافي الأسلوب . . لكن لقلمه
تمرداً عنيداً كتمرد ذلك المبحر في العباب إذا أته الرياح بما لا يشتهي ،
فهنا تكون الكلمة : الموقف . الذي كأنه مفاصلة بين الحياة والموت . .
حتى وإن أخذ كل الواقفين على الشاطيء يدعوهم إشفاقاً عليه من
مواجهة الخطر . .

أقول هذا وفي خاطري أحمد محمد جمال الذي وقف وحده ذات يوم
مدافعاً عن «أنور السادات» مبرراً خطوته إلى «القدس» يوم كان العالم
العربي كله مغاضباً للسادات ، وحتى لمصر بسبب هذه الخطوة .
وقف أحمد محمد جمال يقوده خيال الشاعر كي يستشف المستقبل
من سترقيق يرى فيه ما لم يكن يراه الآخرون ، أورها رأوه وعجزوا عن
التحدث به !!

وتمضي الأيام لتؤكد أن أحمد محمد جمال كان شفاف الرؤية نفاذاها
حينما أشفق على القضية - قضية الأقصى والقدس وفلسطين من
«الفرص المضیعة» التي تكون دائماً في صالح الآخرين منذ رفض قرار
«التقسيم» سنة ١٩٤٧م إلى ما يسمى باتفاق غزة - أريحا الهزيل المشؤوم .
ولو قد عاش أحمد جمال ورأى «عرفات» وهو يمد يد المصالحة
والمصافحة إلى عدوه الألد - راين - احتفالاً بتنصيبه رئيساً على دولة غزة
أريحا التي لا تريد مساحتها على أحد الأحياء في مكة المكرمة . . . لنزف
قلبه دماً على كلماته التي لم يسمعها أحد .

أما عن «الإنسان» في أحمد محمد جمال

فكأنه مجتمع كبير ورحيب يضم في جنباته باقة من أعطر الفضائل
في صفات الرجال ، ترى فيه هفة الأب الحاني على ولده ، تربت يده

الحانية على أكتافهم لتدفيء بالحب وبالحنن من حواليتهم شقاء الحياة .
وترى فيه الصديق الوفي ، الذي يحميك في غيبتك بأعز وأقوى مما
يحميك في حضورك ، ثم هو دائماً كريم النفس واليد ، وسع الناس بماله
وبأخلاقه جميعاً عليه رحمة الله .

هكذا هو في الإقامة ، وفي الحضر . .

أما هو في السفر فأنت مع صاحب لطيف العشرة عَفَّ اللسان ،
حلوا الدعاة ، كثير الملاحظات والتعقيبات . . أمين . . وكريم .

جمعتني به الأيام في أكثر من دار من ديار الإسلام وفي بعض ديار
أهل الكتاب التي كنت أقيم فيها دورات لتدريب الدعاة برعاية الأمانة
العامة لرابطة العالم الإسلامي .

رجل دعوة

كانت إحدى هذه الدورات في مدينة «نواكشوط» عاصمة الجمهورية الموريتانية، وأذكر يوم عرضت المشاركة فيها وصحبة ذلك نفر من علماء الأمة «الدكتور المهدي بن عبود والشيخان محمد الغزالي وسيد سابق، والشيخان أبوبكر جومي، وآدم عبدالله ألوري من نيجيريا رحمهم الله وغيرهم .

وفي الموعد المقرر لهذه الدورة كان الأخ أحمد جمال على ارتباط مسبق بأحد اللقاءات العالمية خارج المملكة، وهم أن يعتذر لكنني آليت عليه - إن كانت لي عنده منزلة - أن يؤثرنا بالصحبة ولو لبعض الوقت بأي أسلوب يراه .

وكان من لطفه - رحمه الله - أن قسم الزمن بين اللقاءين، ثم أثر بالبداية . وكانت دورة «موريتانيا . . هذه في ظل ولاية الرئيس الأسبق «المختار ولد داداه - جمل الله أيامه - وفي أيام الدورة حدث انعقاد المؤتمر العام السنوي للحزب عندهم، وشممت هناك رائحة نزعة إلى «الزنجية» يتحفز لها بعض من تعبت بهم الأيدي المتأمرة لتحريك نزعة انفصال عن عروبة موريتانيا، والاستقلال بالمناطق التي فيها إخوة من أصول زنجية .

وحدثت الأخوة العلماء من أساتذة الدورة، ومنهم - بالطبع أحمد جمال . والشيخ الغزالي، ورتبت لهما أن يشاركا في الاجتماع العام للحزب .

وحين قدمني المسؤولون هناك للحديث بصفتي المشرف على دورة التدريب حرصت على أن أفتح «القضية» قضية عروبة الشعب الموريتاني، الذي تجري العروبة ليس فقط في دمائه، بل في طباع أهله وسماهم، وعلى ألسنتهم، حيث يكاد المثقفون منهم ألا يتحدثوا إلا

بالشعر العربي العمودي الأصيل ، وبالعربية الفصحى مبرأة من أي لحن .

ثم دعوت الشيخين الغزالي وأحمد جمال فأسهما في الموضوع إسهاماً ارتجت له ليس أركان مكان الاجتماع ، بل أركان قلوب وعقول الحاضرين جميعاً إعجاباً واستجابة . ووثدت في مهدها مشكلة أو مؤامرة سياسية كانت تحاول شق جدار الوحدة الوطنية للشعب المسلم العربي الشقيق : مما كانت له اصدائه ، وآثاره على مسار موريتانيا ومستقبلها لم نكن نقدر أننا سخرنا - بفضل الله - لهذا الدور فيها .

أما الثانية فكانت أيضاً في دورة أخرى لتدريب الدعاة في «الصومال» على عهد الرئيس الأسبق الجنرال سياد بري .

وكان من الأهداف الجانبية للدورة - محاولة تقصي حقيقة ما أذيع من أن الرئيس الصومالي أثناء حربه مع «أثيوبيا منجستو» قد سلم عدداً كبيراً من يتامى الأطفال المسلمين - ألفين أو ثلاثة - إلى أحد المنصرين ليتولى رعايتهم .

وكانت الدورة في شهر رمضان . .

وكانت لنا عادة بعد الافطار ، وبعد التراويح ، أن نخرج - نحن الاساتذة معاً لتتجول في الحديقة الضخمة المحيطة بالمكان الذي كان معداً لإقامتنا .

و ذات ليلة - ونحن في تجوالنا فوجئنا بوزير العدل الصومالي يبحث عني لأن الرئيس قرر استقبالي في هذه الساعة . وحين استأذنت الاخوة كي أغير ملابسي قال لي أحمد جمال يرجمه الله «لاتنسى موضوع الأولاد» . فابتسمت ولم أعقب .

ومضيت إلى لقاء الرجل ، وكان لقاء فيه تعبير عن المارة والاحساس بخيبة الأمل ، إذ كنت لي بالرجل علاقة قديمة منذ أكثر من عشرين عاماً يوم كان هو حاكماً لإقليم بيْدوة مسرح العمليات العسكرية الكثيرة مؤخراً مع قوات الأمم المتحدة . أما أنا فكانت أدير المركز الثقافي للمؤتمر الإسلامي بمقديشو عاصمة الصومال .

وانتهى اللقاء الذي شهده - بترتيب من الرجل - ثلاثة من السفراء العرب . . وعدت إلى زملائي الاساتذة الذين كانوا ينتظرونني على أحر من الجمر كما نقول .

وكان أحمد جمال أول من سألني متضاحكاً : كيف استقبلت الرجل ؟ قلت بل هو الذي استقبلني . قال : أعرف لكنني أسألك : كيف كان استقبالك له ؟ وهل قدرت أن تحاسبه على فعلته ؟

فرويت له وللإخوة الزملاء كل ما دار بيني وبين الرجل . . ثم سألت أحمد جمال . . هل عرفت كيف استقبله ؟ وكانت المفاجأة إذ قال : قال : لا . بل خدعك والله الرجل . . ولقد قدمت له «السعودية» . . وقدمت . . وقدمت !! قلت : أعرف . وإنشاء نفقي السد الكبير على نهري «الجوبا» و«الشبيلي» قال : وما لا تعرفه أكثر وأكثر . .

قلت متضاحكاً :

والآن فلا لوم عليّ لأني شهدت بما علمت . . أما أنت فلك امتيازك بعلم ما لم أكن أعلم ، وأسلافنا قالوا : «من حفظ حجةً على من لم يحفظ» فابتسم الرجل ومد ذراعيه ليأخذني بين أحضانه ويقول : بل أنت الحجة أبا أيمن رحم الله أحمد جمال . . وأجزل مثوبته على ما قدم . . ورحم الله جيل الشوامخ الذي كانت خطاهم على الدروب هي

معالم الطريق .

أحمد محمد جمال
بين العلم والأدب

بقلم:

د. عاصم حمدان على حمدان

جامعة الملك عبدالعزيز- جدة

الفصل الخامس :

- أحمد محمد جمال بين العلم والأدب .
- معايرته لخالد محمد خالد .

أحمد محمد جمال بين العلم والأدب

الحديث عن العالم الفاضل أحمد محمد جمال - رحمه الله - حديث متعدد الجوانب، تعددت تلك المواهب التي من الله بها على فقيد الإسلام، والبلد الحرام، وأرض الطُّهر والإيمان. ذلك الرجل الذي امتدت معرفتي به لأكثر من ربع قرن من الزمن كان يبهرك بذلك الخلق الإسلامي الرَّفيع، ولما عرفته عن قرب كان بإمكانني أن أَرَدَ تلك السَّمت الكريمة إلى منابعها الأولى، فهو خريج الجامعة الكبرى «المسجد الحرام» أساتذته فيه، محمد العربي التَّباني، والسَّيد علوي بن عباس المالكي والسيد محمد بن أمين كتبي - رحمهم الله جميعاً - وهؤلاء قوم جمع الله لهم بين التمكن في العلم والرَّفعة في الخلق، والقرب من قلوب من يجالسونهم من طلاب العلم والمعرفة، ولقد ورث فقيدنا من هذه الصفوة الزهد في متاع الدنيا، والتعلق بعالم الخلود ومتاعه، بل إن نفسه كانت تمتح من ذلك العالم أسرار الطهر والصِّفاء الذي كان يتبدَّى في أسارير وجهه المضيء، ونقاء داخله الذي كان يدفع ما استطاع - بالعبادة والصَّبر - كل ما يمكن أن يدخل في دائرة الظُّهور الدنيوي الذي لا يليق بأهل العلم والفضل من أمثاله.

وفي الحرم نشأ «أحمد محمد جمال» يقرأ القرآن ويحفظه ويتدبره فكان هذا الارتباط بكتاب الله طريقاً لدخوله إلى عالم الكتابة الإسلامية، فأصدر سلسلة «القرآن كتابٌ أحكمت آياته» «ومأدبة الله في الأرض»،

ولقد ناقش في الكتاب الأول بعض آراء المفسرين ولكن بأسلوب العالم الذي لا يبخس الآخرين حقوقهم ولا ينتقص من أقدارهم وليتنا نتعلم من هؤلاء القوم كيف يتقبلون الرأي الآخر، ولا يضيقون بمبدأ الاختلاف لأنهم يعلمون أنه دليل على ثراء علوم الشريعة واتساع آفاقها وقدرتها على الوفاء باحتياجات المكان والزمان ومن هنا كان الإسلام هو الدين الخاتمة والدعوة الشاملة المتمثلة في خطاب الله - عز وجل لنبيه سيدنا محمد ﷺ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ، ولقد قادت مفاهيم القرآن الواسعة فقيدنا إلى أن يطرق أبواباً أخرى للتأليف العلمي في مجال الكتابة الإسلامية مثل «التربية الإسلامية وقضايا المرأة»، وكان كتابه المعروف «مكانك تحمدي» صرخة تحذير للمرأة المسلمة من أن تنساق خلف الدّعوات الكاذبة باسم الحرية التي انقلبت بسببها طبيعة المرأة في الغرب، واليوم تتعالى الصّيحات في تلك المجتمعات بعودة المرأة إلى فطرتها ومكانها الطبيعي ولكن الزّمام أفلت والضوابط تحللت، ولم يبق للمرأة هناك إلا دموعها وحسرتها، ولم يكن الأستاذ - جمال - رحمه الله - بتحذيره للمرأة يسعى لسلبها حقوقها التي وهبها الله إياها من تعليم ورعاية واحترام، وكنت قد ذكرت في ندوة علمية بنادي مكة الثقافي، «أنّ العالم أحمد جمال لم يكن عدواً للمرأة، فالمرأة في بيته أخت وزوجة وبنت متعلمة مثقفة» ولكن ما كتبه عنها كان من باب الشفقة عليها والحرص من أن تستغل عاطفتها فيما تكون نتائجه سيئة وآثاره مخيفة، ولقد حدّثني - رحمه الله - قائلاً ذات يوم «يسألونني هل أشاهد المصارعة في التلفاز نعم أشاهدها وأشهد بعض المسلسلات التلفزيونية المناسبة وكما تشاهد فالتلفزيون في غرفة جلوسي، ولعلي لا أبيع سرّاً إذا ما قلت أنّ

«أحمد جمال» لم يكن متشددًا - أبداً - فهو يستمتع بالفنون مادامت ترتقي بالمشاعر وتسمو بالأحاسيس فلقد ذكر لي أنه كان يحب سماع قصيدي «نهج البردة» و«حديث الروح» وذلك ليس بغريب على عالم مثله ، تفتحت مداركه على قول الشعر وسماعه ، وإنني أجزم قائلاً بأنه لو استمر أحمد جمال في قول الشعر لكان من رواده القلائل في بلادنا ، ولعل الزميل الدكتور جميل مغربي يخرج لنا بحثه عن شاعرية الأستاذ - جمال - فنزداد معرفة بهذه الموهبة الفنية التي كانت تنطوي عليها شخصية فقيدنا ، وما أكثر المواهب التي أنعم الله بها على هذا الرجل الذي كان يؤلف لطلبة العلم ليلاً ، ويعلمهم نهاراً في رحاب جامعتي أم القرى والملك عبدالعزيز ، ثم يلتفت إلى واجب آخر استنفد منه الكثير من الجهد والطاقة ، وهو واجب الكتابة الصحافية التي كان مبرزاً فيها «فعموده» في حراء أولاً وفي الندوة الثانية ثم في المدينة والشرق الأوسط ، كان مقروءاً من جميع الناس على مختلف طبقاتهم ومشاربهم وكان - رحمه الله - يقول في سطور ما يعجز الآخرون عن قوله في صفحات ، وكان في كتاباته الصحافية صاحب أسلوب مشرق ومؤثر في الوقت نفسه ، كم كان في مناظراته مع الآخرين يلتزم بأداب الحوار العلمي وأتذكر أن حواراً دار بينه وبين الأستاذ المرحوم «أحمد قنديل» على صفحات جريدة «عكاظ» حول كتاب «الأغاني» وكان الأستاذ جمال يرى أن كتاب الأغاني أساء للتراث الإسلامي والعربي لأنَّ أبا الفرج كتبه بعقلية الأديب والفنان الذي كثيراً ما ينجح به الخيال ويشط به القول ، ولهذا كان اعتماد بعض الأدباء عليه في العصر الحديث من حيث النواحي التاريخية أمراً غير محمود ، لعدم تثبته من الرواية التاريخية إضافة إلى الشك الذي يحيط بشخصية أبي الفرج نفسه ، واحتياط العلماء بسبب ذلك عند اعتماد روايته عن العصور

السابقة، ورأي الأستاذ جمال رحمه الله يتفق مع رأي الدكتور زكي مبارك الذي كتبه في مجلة «المقتطف» وضمنه الدكتور «جبرائيل جبور» كتابه المعروف «كيف أفهم النقد» الصادر عن دار الآفاق ببيروت، ١٤٠٣-١٩٨٣، ص ٦٧-٧٦. والذي ختمه بنتيجة هامة يقول فيها «هذا، ولو أمضينا نحصي ما في روايات الأغاني من التلقيق لطال بنا القول، فلتكتف بهذا، ولنسجل مرة ثانية أنَّ الأصبهاني أراد أن يكون كتابه معرضاً لما تجمع بين أيدي معاصريه من طريف الأقاصيص، فليعتبره القاريء إذاً كتاب أدب لا كتاب تاريخ» وكان المرحوم الأستاذ القنديل يرى أنَّ كتاب الأغاني إضافة هامة في التراث العربي، وأنَّ ماورد من روايات غير صحيحة لا يمنعنا من الإفادة منه في جوانب أخرى.

مصادقته لخالد محمد خالد

● كما دار حوار بينه وبين الأستاذ خالد محمد خالد على صفحات جريدة الشرق الأوسط حول مفهوم الديمقراطية الغربية ، وكان الأستاذ جمال في حوار ه هذا يحرص على تدوين الحقائق العلمية التي تؤيد وجهة نظره دون أن يفرض على الآخرين جملة آرائه التي يؤمن بها ويدافع عنها دفاعه عن وجوب الإفصاح للرأي الآخر حتى تتضح معالم الطريق الذي يجب أن تسلكه الأمة فيما تعتقد وتمارس ومن دون هذا المسار الطبيعي لقضايا الحوار وما يترتب عليها من آثار، لن تستطيع الأمة مواصلة مسيرتها الحضارية والفكرية ، التي كانت نقطة بدايتها وحيأ منزلاً يحث على العلم والمعرفة ، وصدق الله القائل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (سورة العلق الآيات : ١-٥) .

ورحم الله الشيخ العالم الجليل أحمد محمد جمال وأجزل له الثواب على ما قدم لوطنه وأمتة وللغة العربية .

العناية بتفسير آي القرآن الكريم

**بقلم الأستاذ الدكتور
حسن ضياء الدين عتر**

الفصل السادس:

التمهيد :

- العناية بتفسير القرآن العظيم .

أولاً : القصص القرآني

- أسباب النزول ركن أساسي في التفسير.
- قصة شاس اليهودي . . مفرق الشمل .
- وآخرون سفهاء وبخلاء وجبناء .
- مزايا اسلوب المؤلف في «القصص الرمزي في القرآن .
- أهمية علوم القرآن العظيم في التفسير.

ثانياً: النسخ في القرآن الكريم:

ثالثاً: التفسير والمفسرون

رابعاً: نظام الحكم في القرآن

- جهره بالحق في وجه الطغاة .

خامساً: الشورى في القرآن

- منهج المؤلف في تفسيره للآيات القرآنية .
- ثبت المراجع .

العناية بتفسير القرآن العظيم

انداحت دائرة الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب مباشر وغير مباشر حتى عمَّ هديُّ الله أرجاء الجزيرة العربية . ثم شَعَّتْ أنوارها في أرجاء العالم ، يحمل مشاعلها رجال أبرار ، منهم من عرفت أسماؤهم وآثارهم ومنهم من لم نعرف أسماؤهم أو أعمالهم ومنجزاتهم في الدعوة الخالصة الهادية إلى الله تعالى . فهناك كتائب من القادة الهداة الدعاة تترى عبر التاريخ ، نشر الله بهم دينه وهدي بهم عباده ، معظمهم لانعرف أسماؤهم فهم جنود مجهولون بالنسبة إلينا ، لكنهم معروفون تمام المعرفة لدى بارئهم خالق السماوات والأرض ؛ مالك الدنيا والآخرة . ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ (١) .

أولئك الأعلام الأبرار وكتائب الدعاة إلى الله من الأعلام المشهورين والهداة العاملين والمقاتلين في سبيل الله كلهم جاهدوا في سبيل الله والدعوة إلى الله ، حتى عم نور الإيمان بالله وبمحمد رسول الله مشارق الأرض ومغاربها من جبال الصين إلى حدود فرنسا غرباً . ودكوا أعظم امبراطوريتين أذلتا شعوب العالم أحقاباً وقرونًا . ودخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً ، وهيمن حكم الإسلام على العالم كله بعزٍّ عزيزٍ أو بذل ذليل ، في أقل من قرن واحد من الزمان ، بدون طائرات ولا صواريخ

عابرات للقارات ولا قنابل نووية مدمرات ساحقات للعالم ماحقات .
ولكنهم قرعوا أبواب البلاد وفتح الله بصدقهم في تبليغ القرآن العظيم
قلوب العباد ، على الرغم من قلة عدد جنودهم وبساطة عتادهم .

ترجم علمائنا الأبرار خلال القرون الماضية لكثيرين ، ولكن الغالبية
العظمى لم يدون عنهم وعن مآثرهم العظيمة شيء . غير أننا عرفناهم من
آثارهم في امتداد الدعوة الإسلامية وانتشار الإسلام وثبات أهله على
الاعتصام به ، وخاصة في القرون الأخيرة التي اشتدت فيها الظلمات
وتفاقمت الفتن ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ (١) .

وعلى الرغم من هذا فقد استمرت باصرار بليغ جماهير المسلمين على
الاعتصام بحبل الله ، يقودهم علمائهم وفضلاؤهم بالدعوة إلى الله
والجهاد في سبيل الله . وإن التعليم الإسلامي في عصرنا الحاضر هو جهاد
في سبيل الله . وكلمة الحق جهاد في سبيل الله . فالتعليم والإعلام
الإسلامي هو الخط الدفاعي الأخير - وليس الأول - عن حياض الإسلام .
فإذا انهار خط التعليم الإسلامي فقد انهار كل شيء ، لا قدر الله .

ولا غرو! فإن الرسول ﷺ وصحبه الأبرار الأوائل أقاموا على جهاد
الدعوة إلى الله في سبيل الله ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة قبل الهجرة ،
وفيهم نزل قول الحق تباركت أسماؤه وتعالى صفاته :

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (٢) .

أضحى واجباً علينا أن نعرف الأجيال الإسلامية بجهود علمائنا
والدعاة فينا اعترافاً بفضيلتهم وحضاً للمسلمين على الاعتراف من معينهم

(١) سورة النور الآية ٤٠

(٢) الآية مكية في سورة مكية ، سورة العنكبوت آية ٦٩

وتخلقاً بأخلاق العلماء الفضلاء . «إنما يعرف الفضل ذووه» .

وقد سرتني طلب رابطة العالم الإسلامي قسم الثقافة والاعلام الإسلامي - أن أساهم بكتابة فصل عن العناية بتفسير القرآن العظيم في مؤلفات ومقالات الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال رحمه الله وأكرم مثواه .

اعتنى الأستاذ الداعية بتفسير القرآن بأسلوبين :

أولهما : الأسلوب المباشر ، وتدلل عليه عناوين الكتب والمقالات ذاتها .

ثانيهما : بأسلوب غير مباشر ، وذلك خلال أبحاثه لموضوعات متنوعة اجتماعية وتوجيهية هادفة .

وسأعرض لأسلوبه في التفسير بدراسة موضوعات ونماذج معينة ؛ ضمن الحدود المتاحة لي ؛ ووفقاً للظرف الخاص بالنشر . وبالله التوفيق .

أولاً : القصص القرآني :

أفرد الأستاذ الداعية له كتاباً مستقلاً بعنوان : (القصص الرمزي في القرآن)، ولعل خيالك يمح فیدفعك إلى التساؤل : هل قصد الأستاذ الداعية أن في القرآن قصصاً رمزياً بالاطلاق المعهود في عصرنا للقصص الرمزي والشعر الرمزي، إذ يسمع أحدنا الشاعر- مثلاً- يقول : أنا وحببني نصف برتقالة !!!؟ فتقول له : إذن أين طاح النصف الآخر !!!؟ ويأخذ المؤلف رحمه الله عليك أو على بعض القراء سوء الظن، فيجيب في ختام تقديمه لكتابه بقوله : «وقد اخترت للكتاب اسم «القصص الرمزي في القرآن» بديلاً عن الاسم الأول «ماوراء الآيات» لمناسيته للموضوعات أو القضايا التي ترمز لها الآيات ولا تفصح عنها»^(١).

لكنه فصل مراده من كتابه تفصيلاً في مطلع تقديمه، إذ يفيدك بتقريره ضمناً أن قصص القرآن قصص حقيقي واقعي . ويعلم صراحة أنه نوعان :

أولاً : قصص نزل به القرآن، وذكر أحداثه الحقيقية وله أهداف عظيمة . قال الله عز وجل ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرِّسَلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

ثانياً : قصص نزل من أجله القرآن، فلم يذكر أحداثه ووقائعها

(٢) سورة هود : ١٢٠ .

(١) القصص الرمزي في القرآن : ١١ .

ومشكلاته، إنما ذكرها تذكيراً، بأن أشار إليها أو رمز لها برمز جلي لا لبس في مراده منها وهي التي جاء القرآن العظيم ليعطي فيها العبرة والموعظة أو الحكم أو الحل، أو يكشف سر أصحابها من براءة أو خيانة، وصدق أو كذب، ووفاء أو عذر. وهو ما سماء المتحدثون القدامى عن علوم القرآن باسم: (أسباب النزول)»^(١).

ثم نقل عن الامام جلال السيوطي جملة من أقوال العلماء الأعلام المتقدمين عن أهمية أسباب النزول في فهم كتاب الله تعالى ومعرفة تفسيره، ومنها: قول الجعبري: «إن نزول القرآن كان على قسمين: الأول نزل ابتداءً، والثاني نزل عقب واقعة أو سؤال».

وقول الواحدي: لا يمكن تفسيره معنى الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها^(٢).

وتبين لك أهمية أسباب نزول القرآن في التوصل إلى تفسيره وإدراك مراد الله تعالى منه بالنظر في أمثلة عدة سردها الإمام السيوطي واختار المؤلف رحمه الله أن ينقل بعضها. ومنها قصة استشكال مروان بن الحكم، وقد توسع المؤلف رحمه الله قليلاً في تبيانها باعتياده على تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى وعزوه إليه^(٣).

روى الامام أحمد أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان -بن الحكم- قال: اذهب يا رافع؛ لبوابه؛ إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بها أتى. وأحب أن يُحمَد بها لم يفعل. معذباً،

(١) القصص الرمزي في القرآن أحمد محمد حماد ص ٥٦.

(٢) القصص الرمزي في القرآن ٦.

(٣) المصص الرمزي في القرآن ١٠٦.

لنُعَذِّبَنَّ أَجْمَعُونَ؟ فقال ابن عباس: وما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(١) وتلا ابن عباس: ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيَجْحَدُونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾^(٢) الآية. وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أرووه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أوتوا من كتبهم إياه ما سألهم عنه»^(٣).

وقال الامام عماد الدين بن كثير: وهكذا رواه البخاري في التفسير، ومسلم، والترمذي والنسائي في تفسيرهما، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن مردويه والحاكم في مستدركه^(٤).

ثم تحدث المؤلف الفاضل رحمه الله تعالى قليلاً عن قواعد العلماء في أسباب النزول مبيناً بإسهاب أنه قد يتعدد السبب والنازل واحد، وقد يتعدد النازل والسبب واحد أو متشابه في مضمونه، وإن تكرر حدوثه^(٥).

ولاشك أن الاهتمام بأسباب النزول هو اهتمام بتفسير القرآن العظيم. إذ لا يجوز عند أحد من أئمة العلم المتقدمين أو المتأخرين

(١) سورة آل عمران: آية ١٨٧

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨٨

(٣) المسند للإمام أحمد بن حنبل ١/٢٩٨، مكتب الإسلامى، بيروت

(٤) اطرح صحيح البخارى ٥١٦ ومسنده. مدققين ٨، ونجفة الأحوذى، كتاب التفسير.

٨/٣٦٥. وانظر تفسير ابن كثير: ٢/١٥٧ - ١٥٨ ط. دار الشعب - القاهرة.

(٥) النصص الرمزي في التفسير: ١٠٩

إغفال سبب النزول في تفسير آية واحدة من القرآن، نزلت إثر حادث أو إشكال معين، توضح هدي الله فيه. فسمى العلماء ذلك الحدث أو الاشكال: سبب النزول. أضف إلى ذلك أن المؤلف عوّل أثناء عرضه تلك الأحداث أو القصص على أقوال وأفهام أئمة التفسير وأشار إلى كتبهم في ذلك.

وألقى نظرة عابرة على تخطيط كتاب «القصص الرمزي في القرآن» تجده يسرد على القارئ- في الفصل الأول- عدداً من قصص النساء. ثم تجد في الفصل الثاني عدداً من قصص المؤمنين، وفي الثالث قصصاً لليهود والمنافقين، وفي الرابع قصصاً متنوعة.

وتجد قصة (يهودي متهم... يبرئه القرآن) ص ٧٤، وقصة (شاس اليهودي... مفرّق الشمل) ص ٩٤.

وإنما عرضهما المؤلف رحمه الله تعالى في الفصل الثاني لأن الجانب الهام فيهما رفع الإشكال من بين المؤمنين أي الصحابة أنفسهم رضي الله عنهم. وإليك عرضاً موجزاً للقصة الثانية منهما لتظهر لك جهوده وتوجيهاته وعنايته بتفسير القرآن العظيم وبأسباب النزول خاصة في هذا الكتاب القيم الممتع.

شاس اليهودي.. مفرق الشمل

قدّم المؤلف كلمة لطيفة عن الحسد والحقد مع تحليل نفسي لأصحابها وتبيان آثارهما الاجتماعية. بعد سرده للنصر القرآني الكريم (الآيات ١٠٠-١٠٣ آل عمران).

ثم استهل القصة- التي تشير إليها الآيات- من أولها، منذ التقى نفر من الأوس والخزرج بالرسول ﷺ في مكة المكرمة أيام الحج، وبايعوه على الإسلام. واثلت كلمتهم عليه وتوحدت صفوفهم فكانت خاتمة لحروب كان آخرها يوم بعاث التي دامت بين هذين الفريقين عشرين ومائة عام، مع أنهم أبناء أخوين من أب وأم.

وصفت نفوس الأوس والخزرج عند هجرة الرسول الكريم إليهم وألف الله بين قلوبهم على طاعته وعلى الإخاء والتعاون والإيثار مع المسلمين عامة. (١).

ثم يعرض المؤلف رحمه الله قصة شاس الخبيث المفرق لكن بأسلوب تحليلي سلس جذاب فيقول:

«وهنا تبدأ قصة «شاس بن قيس» أحد يهود بني قينقاع وهو شيخ ضليل كفور، شديد الضغن والطعن على المسلمين- مر (شاس) هذا على رهط من الأوس والخزرج يتحدثون في مجلس لهم، على صفو وبشر ومودة، فغاظه مارأى منهم. وود لو رجعوا كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض.

(١) الفصص الرمزي في القرآن. ٩٤ ٩٥

واستيسر له ما أراد، إذ وجد فتى يهودياً إلى جانبه، فهمس في أذنه بتعابير الحقد والحسد المشتعلين في صدره: (لقد اجتمع ملائني قيلة بهذه البلاد. . . والله مالنا معهم إذا اجتمع ملوهم بها من قرار).

ثم أوحى إليه أن يجلس إليهم، ويذكرهم بيوم بعثت - وهي آخر حروبهم، وقد كان الظفر فيها للأوس على الخزرج - وما كان قبله من أيام الأرض والعداوات وينشدهم ماتقاوولوا فيها من أشعار المفاخرة والمباهاة. .

واستجاب شيطان فتى لـ شيطان شيخ، فجلس الشاب اليهودي إلى جماعة الأنصار يجدد ضغائنهم القديمة ويحيي تراثهم الميتة، يتغني بذلك أن يُحل رباطاً أوثقه الإسلام بينهم. ويهدم بنياناً رصه لهم، فكان له باديء الرأي ما أراد، والله سبحانه وتعالى في ذلك حكمة امتحان وتبيان. . .

لقد ثارت ثائرة من الفريقين وجعل بعض من هؤلاء يفاخرون وينافرون بعضاً من أولئك، ويدعي بدعوى الجاهلية الأولى، وبلغ الحماس بأحدهم مبلغاً نسي فيه حاضره وانتقل إلى ماضيه الأسود، فاندفع يقول لصاحبه: (إن شئتم رددناها جذعة) حتى تغاضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، وتنادوا بالسلاح. وتواعدوا اللقاء في الحرة - ظاهر المدينة - ليستقبلوا ما استدبروا من عداوات وحروب»^(١).

ثم يزجي بتحليل نفسي لضيق وقع الخبر على نفس الرسول الكريم ﷺ ومسارعة لتدارك الأمر وفعالية موقفه وروعة خطابه، ثم يحلي لك

(١) القصص الرمزي في القرآن: ٩٦، وانصر - لنوسع - روايات القصة وتفسير الآيات في تفسير القرآن العظم، لاس كثير: ٧٤ / ٧١ / ٢. وجمع أحكام القرآن، للقرطبي: ١٥٥ / ٤. ١٦٥.

رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴿ آل عمران ١٠٠-١٠٣ ﴾ .

ثم يقدم - كداعية - تحليلاً نفسياً لطبائع اليهود التي تطبعوا عليها ، نتيجة لضلالهم الاعتقادي ؛ بأنهم (شعب الله المختار) وهم يعتقدون - كما نعلم - أن الأمم الأخرى (الجويم) مجموعات من البهائم والحيوانات خلقها (إله بني إسرائيل) لتمشي على رجلين لتقدم لشعبه المختار خدمات لا تقدر عليها الحيوانات الأخرى . لكن هذه الأمم أو البهائم عدت على أرض الشعب المختار وتحكمت في معظم بلاد العالم الذي خلقه إله بني إسرائيل خصيصاً لشعبه المختار . . . إلى آخر ما نص عليه كتابهم (التلمود) وهو عندهم أكثر من التوراة ذاتها . وبهذا المنطق الاعتقادي الخرافي الأخرق الرهيب يستبيح اليهود لأنفسهم اقتراف كل أنواع الجرائم والخيانة والمكر والغدر واللؤم والظلم في حق الأمم والشعوب الإنسانية^(١) .

ومن ذلك اعتمادهم نهج التفريق والوقية بين الناس . وعليه الآن سياسة أعداء الإسلام في عالم الكفر . ودستورهم في هذا : (فرق تسد) . لذا تجدد المؤلف في هذا الشوط الرائع يحذر المسلمين من الولاء للكافرين . تأمل أسلوبه في هذا كله إذ قال رحمه الله :

(١) القصص الرمزي في القرآن ٩٦-٩٧ .

«كان ذلك دأب اليهود، التفريق بين المسلمين حقداً وحسداً، وقصداً إلى انفرادهم بملك الأرض وسلطان الدنيا بزعم أنهم شعب الله المختار، وهم الذين ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة، وباءوا بغضب منه، لما امتازوا به من (تقلب أخلاقي) لم تستقم لهم معه دنيا ولا استقرار لهم دين...»

ولا يزال دأبهم حتى اليوم، ودأب غيرهم من أعداء الإسلام غريبين كانوا أم شريقين، فإن الكفر ملة واحدة - كما يقال - وشعورهم جميعاً هو كراهية هذه الأمة الإسلامية التي تملك مقاليد أعظم حضارة وثقافة، وسبب الخوف هو أن يسترشد أو تستأسد، فتكشف ضلالتهم وجهالاتهم الأولى، وتحكمهم وتعلمهم كما كانت من قبل...»

ولكن أكثر المسلمين اليوم - مع الأسف - يحيون حياة تحقق أمل العدو، حياة البطالة والجهالة، حياة الرضا لسلطانه عليهم، بل السعي إلى موالاته ومحاباته.

وقد نسوا أن الله سبحانه وتعالى قد أنذرهم في القرآن الكريم: بهذا النذير الدائم الحاسم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرًا يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾^(١). فهم إذن قد جعلوا لله هذا السلطان، وأقاموا بأنفسهم حجته سبحانه عليهم، فيما أصابهم من شدة العلة والقلّة والذلة على أيدي «أوليائهم» أو «حلفائهم» من غير المسلمين^(٢).

ويجتمه الشيخ الداعية رحمه الله مقاله هذا بمسألة يظهر منها اعتناؤه

(١) سورة النساء: آية ١٤٤

(٢) الفقه الصوري في القرآن: الأتقان ٩١ ٩٨

بتفسير الكتاب العزيز وحرصه الشديد على خدمته فينفي أن تكون الآية : ﴿ اتقوا الله حق تقاته ﴾^(١) قد نسختها آية التغابن ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم... ﴾^(٢) .

فقال : « وقد أورد ابن كثير والقرطبي في تفسيريهما قول ابن عباس رضي الله عنهما : « إنها لم تنسخ وقول ابن مسعود : إن معناها أن يطاع الله فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر »^(٣) .

يتبين لك من هذا المقال أن الأستاذ المؤلف رحمه الله تعالى قد عني عناية فائقة بأسباب النزول ثم بتفسير الآيات وأنها محكمة وليست منسوخة فرجح بذلك ما رجحه جمهور المفسرين .
وسنعرض لتفصيل هذه المسألة فيما بعد بإذن الله تعالى .

(١) سورة آل عمران : آية ١٠١ .

(٢) سورة التغابن : آية ١٦ .

(٣) التفصيص الرمزي في القرآن ٩٨٠ ، وانظر أقوال ائمة ونسب الراجح منها في تفسير ابن كثير : ٧٢/٢ والجامع لأحكام القرآن ، لقرطبي ٤/١٥٦ و ١٤٤/١٨ ، وروح المعاني ، للألوسي : ١٧/٤ .

وآخرون .. سفهاء وبخلاء وجبناء:

أورد المؤلف أربع قصص تحت هذا العنوان، في الفصل الثالث من كتابه (القصص الرمزي في القرآن) وتحدث عن الثالثة منها، قصة «الجد بن قيس» سيد بني سلمة في الجاهلية. فقد أشار المؤلف رحمه الله في تقديمها إلى نفاقه وولوعه بالتشبيب وبالغرم الحرام. ثم قال:

(وقد كان سيداً لقومه. على غير شجاعة وجود، بشهادة قومه حين سأهم النبي ﷺ: من سيدكم يا بني سلمة؟ فقالوا: الجد بن قيس، غير أنه رجل بخيل جبان!! فقال عليه الصلاة والسلام: - وصدق - «وأي داء!! أدواء من البخل؟؟» إنما سيدكم الفتى الجعد الأبيض بشير بن البراء بن معرور»^(١).

واستفحل خطر الروم على حدود الدولة الإسلامية من الشمال، فتجهز الرسول ﷺ لغزوهم ودعا الصحابة لذلك معلناً هذه المرة عن الجهة وأنها تبوك، نظراً لبعدها ليستعدوا لذلك. ولم يعلن عن الجهة من قبل. فسارع الصحابة للجهاز استجابة لأمر رسول الله ﷺ^(٢) فكيف جاءت استجابة «الجد بن قيس؟؟». قال المؤلف رحمه الله:

«ولكن الجد لما كان جباناً بخيلاً جاء جوابه للنبي عليه الصلاة

(١) القصص الرمزي في القرآن: ١٦٥ وحديث الرسول: «من سيدكم يا بني سلمة... ولكن سيدكم الفتى...» عزاه الإمام ابن كثير إلى صحيح لبحري. انظر للتوسع الروايات ومفسر الآيات في تفسير القراء العظيم، لابن كثير ٤/ ١٠١، ١٠٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٥٨/٨ - ١٦٠. وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ٢٨٦/١٤ - ٢٩١. (٢) سيرة النبي ﷺ، عبد الملك بن هشام ٤/ ١٢٩ ط القاهرة ١٣٨٤ هـ.

والسلام، نضحاً من نجله وجنبه فقد قال : «لقد عرف قومي مارجل أشد عجباً بالنساء مني، وأنا أخشى إن رأيت نساء بين الأصفر والأصبر عنهن فأفتن بهن»!! ثم ذهب الجد يحدث نفسه - كأبي منافق - بهزيمة المسلمين في هذه الغزوة، ويمنيها بهذه الهزيمة، ويعدها بالويل والحزن إن أصابهم ظفر على الروم!!

وماكاد النبي ﷺ يعرض عن الجد، حتى أقبل جبريل عليه السلام بآية من القرآن الكريم يفصح بها الجد وأمثاله من الجبناء البخلاء:

﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون. قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾^(١) (سورة التوبة: ٤٩-٥١).

ثم أرسل المؤلف توجيهه للقصة إذ لم يكن سرده إلا توجيهاً تربوياً إسلامياً هادفاً. قال رحمه الله:

«ونتعلم من القصة الثالثة: أن المؤمن الحق لا يعتذر عن عمل من عزائم الإيمان وموجبات الرضوان، إلا الشدائد والعظائم من المعاذير، ولا كالمنافق الذي يلتمس المعاذير الواهية - وهي بيوت العنكبوت - ليفر من جلائل الأعمال إلى خبائثها وصغارها.

أجل إن المؤمن فعّال، وقوّال، يقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، ويرتفع بما يقول وما يفعل عن سفساف الأمور إلى معاليها»^(١).

(١) القصص الرمزي في القرآن ١٦٥ ١٦٦

(٢) القصص الرمزي في القرآن ١٦٧

مزايا أسلوب المؤلف في «القصص الرمزي في القرآن»:

أولاً: سبك القصص بأسلوب أدبي رفيع . فيه السلاسة والوضوح والجمال الأدبي الفني الأخاذ .

ثانياً : لم يلتزم سردها بألفاظها التي وردت بها في رواياتها . لكنه لم يغير في أحداث القصة ووقائعها شيئاً ، فخالف بهذا كثيراً من كتاب القصة الإسلامية المعاصرين . فإنه حافظ على صحتها كما وردت وعلى سلامتها من التغيير والزيادة والنقصان ، رعاية لكونها حقائق لا يجوز التصرف فيها ، إنما يجوز روايتها بمعانيها .

ثالثاً : ينقلك من قراءة القصة رواية تاريخية - بتحليله وتعليله ومقارنته حتى تعيش أحداث الحياة في الظروف الماضية معاشة واقعية ووجدانية إيمانية . فتشهد أحداث القصة كما تشهد آثارها النفسية في القوم وفي ظروف حياتهم الإنسانية الإسلامية الصاعدة الراقية .

رابعاً: يثير في القصة عنصر التشويق ويبرز الحبكة القصصية بأسلوب فني رفيع بارع حقاً وجذاب جداً .

خامساً: يجلي لك أسلوبه ؛ رحمه الله - من خلال التحليل والتعليل والمقارنة التوجيهات والارشادات الحصيفة والعبر والعظات البليغة من كل قصة قرآنية يسردها عليك .

فإذا أمعنت النظر وجدت نفسك أمام أسلوب ليس أسلوباً قصصياً فحسب ، ولكنه أسلوب أدبي توجيهي هادف ، له فاعلية تؤثر

في قلوب السامعين والقراء ، وتأخذ بتلايب قلوبهم ومجامع أفئدتهم وتستحوذ على اهتمامهم وتفتح مغاليق أفكارهم ، وتستثير حميتهم وحماستهم وعواطفهم بالتوجيه الرفيع الذي تخلل عرض القصة .

سادساً : وبهذه الطريقة الحصيصة المرفهة ، عرف القاريء القصة والعظات التي تفيض بها ، كما عرف تفسير الآيات النازلة بصددتها ، فتسللت المعاني إلى فكره ؛ والتوجيهات والنفحات الإيمانية إلى فؤاده وضميره وحفزت همته لما ينبغي كمسلم تجاه المواقف التي عرضت الآيات لقصتها رمزاً وتوجيهاً وعظاً بليغاً وإرشاداً لطيفاً . وهذا أسلوب رفيع في الدعوة إلى الله بتفسير القرآن العظيم كتاب الله تعالى ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ (١) .

(١) سورة البقرة : ٢١٣ .

أهمية علوم القرآن العظيم في التفسير

لا يخفى على كل مثقف مسلم أن معرفة علوم القرآن العظيم شرط أساسي من شروط التصدي لتفسير القرآن . ومنها أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ . وقد ظهرت عناية الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال - رحمه الله عليه - بعلوم القرآن العظيم في كتاباته بأسلوب مباشر وغير مباشر.

وظهر كتابه (القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته) . الطبعة الرابعة^(١) منه في سفرين أنيقين زاهيين فخمين . إذ قدم في الجزء الأول نقداً لسبعة عشر كتاباً ، عقد لكل منها فصلاً خاصاً به . وأبرز فصول هذا الجزء من الكتاب :

الأول : نقد كتاب (الناسخ والمنسوخ في القرآن) للإمام محمد بن علي بن حزم (ص ١١) .

الثاني : نقد كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للشيخ محمد أمين الشنقيطي (ص ٧٧-١١٨) .

الخامس : نقد كتاب (الفن القصصي في القرآن) للدكتور محمد أحمد خلف الله (ص ١٧٣-٢٣٨) .

السادس : نقد كتاب (القرآن : محاولة لفهم عصري) للدكتور

(١) وقد صدرت الطبعة الأولى في جزئين لطيفين ضمن سلسلة دعوة الحق - رابطة العالم الإسلامي .

مصطفى محمود (ص ٢٣٩-٢٧٨) . . .

الثامن: نقد كتاب (المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن)
للمستشرق اليهودي جولد تسيهر (ص ٣٠٧-٣٣٢).

الثالث عشر: نقد بحث (الأساطير في القرآن) للدكتور أحمد الحومي
(ص ٤١١-٤٢٦).

الرابع عشر: نقد بحث (اسلوب القرآن وأحكامه) للمستشرق
جوستاف لوبون (ص ٤٢٧-٤٣٤).

.

ثانياً : النسخ في القرآن الكريم :

أثنى الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال رحمه الله على كتاب (الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ؛ للإمام أبي محمد علي بن حزم رحمه الله) ثم قال :

«ولكنني لاحظت أن المؤلف رحمه الله أسرف في سحب حكم النسخ على كثير من الآيات القرآنية التي تدعو إلى مكارم الأخلاق في معاملة المسلمين بعضهم مع بعض ، أو مع المخالفين لهم في عقيدتهم وشريعتهم .

لقد حكم المؤلف رحمه الله بنسخ مائة وأربع عشرة آية في ثمان وأربعين سورة»^(١) . أ. هـ .

ثم أورد المؤلف رحمه الله نماذج من إسراف ابن حزم رحمه الله في زعمه النسخ لكثير من آيات القرآن العظيم . حتى جعل آية السيف ناسخة لكثير من آيات القرآن الكريم وهي قول الله عز وجل : ﴿فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾^(٢) .

وقد أبعد ابن حزم النجعة في مزاعمه النسخ في هذه الآية حتى زعم

(١) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ، أحمد محمد جمال : ١٣/١ .

(٢) سورة التوبة : ٥ .

أنها ناسخة لهذه الآيات الثلاث أيضاً :

الآية الأولى : ﴿وقولوا للناس حسناً﴾^(١).

الآية الثانية : ﴿ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾^(٢)

الآية الثالثة : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین﴾^(٣)

وجاءت تلك خطة الأستاذ الداعية رحمه الله في نفس مزاعم ابن حزم أن الذي عول على أقوال المفسرين كما يلي :

١- أن الآية التي زعمها ابن حزم ناسخة هي نفسها مختلف في أحكامها عند أئمة السلف المفسرين . . قال الأستاذ الداعية : «وقد نقل المفسرون أقوالاً لابن عباس رضي الله عنهما : أن هذه الآية لم يبق بعد نزولها لأحد من المشركين عهد ولا ذمة ، وللضحاك ابن مزاحم : أنها نسخت كل عقد وكل مدة بين الرسول ﷺ وبين المشركين - وقال ابن كثير : اختلف المفسرون في آية السيف فقال الضحاك والسدي هي منسوخة بقوله تعالى :

﴿فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾^(٤).

وقال قتادة بالعكس»^(٥).

٢- ثم تناول الأستاذ الداعية رحمه الله الإجابة تفصيلاً مع كل من هذه الآيات الثلاث بمناقشة علمية متمكنة ، عول فيها على أقوال أئمة

(١) سورة البقرة : ٨٣ .

(٢) سورة الأنعام : ١٠٨ .

(٣) سورة الأعراف : ١٩٩ .

(٤) سورة محمد . آية ٤ .

(٥) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ١ / ١٤ - ٢٥

التفسير في أمهات كتب التفسير، واستدلهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية^(١).

ثم تابع الأستاذ الداعية نقده لكتاب ابن حزم شوطاً إثر شوط فقال: «ونمضي مع المؤلف في عجائبه وغرائبه من إبطاله لكثير من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، التي تضمنتها آيات قرآنية محكمة، وقوله: إن آية السيف هي النسخة لها!»^(٢).

وأتبع هذا الإجمال بتفصيل كافٍ واف^(٣). ثم قال: «ومن عجائب مذهب المؤلف - رحمه الله - في قوله بنسخ آيات كثيرة من القرآن الكريم حديثه عن هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾»^(٤). فقد قال: إنها منسوخة بقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾»^(٥).

والتأمل في هذه الآية لفظاً ومعنى لا يجد منفذاً أو سبيلاً للفهم أو الزعم بأن هناك أي تعارض أو تناقض بينهما وبين الآية الأخرى. .»^(٦).

ولا يغيب عنك أن العلماء المفسرين والفقهاء والأصوليين مجمعون على هذه القاعدة التي أشار إليها المؤلف أخيراً. فلا تقبل دعوى النسخ

(١) نفس المصدر: ١٤/١ - ٢٢.

(٢) نفس المصدر: ١/٢٢.

(٣) نفس المصدر: ١/٢٢ - ٣٤.

(٤) سورة البقرة: ٦٢.

(٥) سورة آل عمران: ٨٥.

(٦) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته: ١/٣٤.

مع إمكان التوفيق بين الآيتين . فإن دعوى النسخ مرفوضة بداهة بل لا يصح إطلاقها أصلاً .

ويطالعك الجزء الثاني من هذا الكتاب بفصول جديدة تماماً بالنسبة إلى الجزء الأول وكأنها هو كتاب آخر .

فتجد في الفصل الأول : مفهومات قرآنية ، وفي الثاني : دراسات قرآنية ، وفي الثالث : قضايا قرآنية ، وفي الرابع : هوامش وتعقيبات . فالجزء الثاني سفر آخر في تفسير القرآن العظيم بأسلوب مباشر جلي .

ويلتقي مع الجزء الأول في الاطار العام ، وأحياناً في جانب موضوعي خاص كما في مقاله :

حول مفهوم الآية :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾^(١)

ورد استفسار من طالب جامعي إلى الأستاذ الداعية المؤلف رحمه الله عن اعتراضه على الاجتهاد القائل بأن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وذلك في كتابه «القصص الرمزي في القرآن» فهل لدى الأستاذ أدلة أخرى تؤيد اعتراضه وتثبت أن الآية محكمة غير منسوخة؟! .

وتبيان ذلك أن عدداً غير قليل من مفسري التابعين ؛ ومنهم سعيد بن جبير؛ ذهبوا إلى أن آية آل عمران هذه منسوخة بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْراً لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يَوْقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) .

وقد أورد المؤلف نقولاً اقتبسها من تفسيري ابن كثير والقرطبي ، أيد بها رحمه الله دفاعه عن إحكام الآية وعدم صحة القول بنسخها . وانقل لك أقوال الأئمة : ابن كثير والألوسي والقرطبي بتصرف يسير ولكن على نحو أوفى مما فعله المؤلف رحمه الله تثبيتاً لقول جمهور العلماء الراجح بإحكام الآية تلاوة وحكماً . وبالله التوفيق .

(١) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ٢ - ١٦٠ - ١٦٢ والآية من سورة آل عمران / ١٠٢ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ٢ / ٧٢ ، والآية من سورة التغاين : ١٥ - ١٦ .

ذكر الإمام ابن كثير الحديث الذي «رواه ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، عن سفيان الثوري، عن زبيد، عن مرة، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله حق تقاته»: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى».

وكذا رواه الحاكم في مستدركه، من حديث مسعر، عن زبيد، عن مرة، عن ابن مسعود، مرفوعاً فذكره. ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. كذا قال. والأظهر أنه موقوف والله أعلم.

ثم قال ابن أبي حاتم: وروي نحوه عن مرة الحمداني، والربيع بن خُثيم، وعمرو بن ميمون، وإبراهيم النخعي، وطاووس، والحسن، وقتادة، وأبي سنان، والسُّدِّي، نحو ذلك.

وقد ذهب سعيد بن جبیر، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، ومقاتل بن حبان، وزيد بن أسلم، والسُّدِّي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: «اتقوا الله حق تقاته» قال: لم تنسخ، ولكن «حق تقاته»: أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وأبائهم وأبنائهم^(١).

وقال الألوسي: «وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر قال: لما نزلت اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تعالى تخفيفاً على المسلمين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير: ٧٢/٢.

فنسخت الآية الأولى، ومثله عن أنس . وقتادة . وإحدى الروایتين عن ابن عباس ، وروي ابن جرير من بعض الطرق عنه أنه قال : «لم تنسخ ، ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في الله حقَّ جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم . ومن قال بالنسخ جنح إلى أن المراد من حق تقاته : ما يحق له ويليق بجلاله وعظمته ، وذلك غير ممكن ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾^(١) أ. هـ .

وقال الامام القرطبي : «روى البخاري عن مرة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر» . وقال ابن عباس : هو ألا يعصى طرفة عين .»^(٢) .

ثم ذكر الامام القرطبي استدلال القائلين بالنسخ^(٣) ، وأظهر ترجيحه فقال : «وقيل : إن قوله ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ تبيان لهذه الآية . والمعنى : فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم ، وهذا أصوب ، لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع ، والجمع ممكن فهو أولى»^(٤) .

أقول : فأنت ترى الأستاذ الداعية رحمه الله تعالى قد عني بتفسير الآيات وبأسباب النزول وبأنها محكمة غير منسوخة . وقد أكدنا ما اختاره رحمه الله بالنصوص التي سردناها آنفاً . وهذا النموذج يعطيك تصوراً طيباً عن حفاوته وعنايته بتفسير القرآن العظيم . رحمه الله تعالى وأكرم مثواه .

(١) روح المعاني : ١٧/٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٤ / ١٥٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٤ / ١٥٧ ، وانظر فيه : ١٨ / ١٤٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ٤ / ١٥٧ .

ثالثاً : التفسير والمفسرون :

التزم الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال رحمه الله منهج جمهور المفسرين ودافع عنه بقوة وانتقد الأقاويل والتفسيرات السقيمة التي أصدرها بعض الكاتبتين لبعض الآيات القرآنية .

وقد انتقد المؤلف تحت عنوان (حول التفسير والمفسرين)^(١) مقال أحد الكتاب في مجلة «الدارة» عدد ٣ بتاريخ شوال ١٣٩٧ هـ . جاء فيه «هذه حالة المفسرين ، فإنهم يربطون كل آية بقصة ويعتقدون أنها سبب نزول هذه الآية . . .»

فانتقد الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال هذه الزلة بقوله : «قلت : إن هذا الحكم على عامة المفسرين بأنهم يربطون كل آية بقصة . . إلخ ، غير سليم ، وغير واقعي ، فالآيات التي نزلت لأسباب من حوادث أو مخالفات أو أسئلة وجهها الصحابة أو الوافدون على الرسول ﷺ محدود ومعروفة في كتب التفسير ، وفي الكتب الخاصة بأسباب النزول وحدها . ومن ناحية أخرى هناك قاعدة عامة أو أصل معروف بين أصول علم التفسير . . وهو : «أن العبرة بعموم اللفظ . . لا بخصوص السبب» وكافة المفسرين يخضعون لهذه القاعدة أو هذا الأصل في تفسير آيات القرآن»^(٢) .

(١) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ٣٨٧ / ٢ .

(٢) القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته : ٣٨٧ / ٢ - ٣٨٨ .

أقول : وأنت ترى أن الأستاذ رحمه الله قد التزم منهج أئمة التفسير في هذا الجانب وقواعد التفسير الأساسية المعتمدة، وأبى على الكاتب المنقود أن يخرج عنها في قليل أو كثير . وسائر مقاله يؤكد لك هذا الاتجاه لديه رحمه الله وأكرم مثواه .

ولو استطلعت مناحي سائر الفصول الأربعة الواسعة في الجزء الثاني من كتابه «القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته» لوجدتها تفسيراً لآيات من الذكر الحكيم أو مباحث في علوم القرآن ومناهج التفسير أو نظرات نقدية قوية في نفس الاتجاه، صَحَحَ بها أخطاء الكاتبتين أو قوَّمَ بها مفاهيم مغلوطة شائعة لدى بعض المثقفين . فجزاه الله أحسن الجزاء .
وإليك بعض عناوين أبحاث الكتاب :

- ١ - حول مفهوم الآية : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ .
- ٢ - حول مفهوم الآية : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَمْنُونُ، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ .
- ٣ - حول مفهوم الآية : ﴿إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفِذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .
- ٤ - حول مفهوم الآية : ﴿فَلَا تَزَكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ .
- ٥ - حول مفهوم الآية : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ .

رابعاً : نظام الحكم في القرآن :

ملك حب القرآن العظيم شفاف قلوب أئمة العلم والدعاة الهداة على مر العصور. فحفزهمهم إلى النهوض بأعباء الدراسات العظيمة في تفسيره وقراءاته وإعرابه ووجوه إعجازه وفنون بلاغته .

ونض الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال رحمه الله بتفسير آيات مختارة من القرآن العظيم ؛ تفسيراً موجهاً هادفاً إلى إصلاح الفرد والمجتمع ؛ بتبيان مقاصد القرآن وإرشاداته والمغزى الرائع البليغ في كل آية تعرض لتفسيرها . وهذه ظاهرة عامة في معظم تأليفه ، ولكنه أفرد كتابين آخرين خصصهما لتفسير آيات من القرآن الكريم وهما : (على مائدة القرآن ، دين ودولة - مآدبة الله في الأرض)^(١) .

وقد عقد في الكتاب الأول خمسة فصول . وجعل مدار أبحاث كل فصل حول آية من القرآن المجيد ، وكلها تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع ورقبهما ، كما ينبثق عن ذلك عنوان الكتاب (على مائدة القرآن - دين ودولة) .

وقد خص الفصل الخامس^(٢) بجانب إصلاح حي للمجتمع المسلم والدولة الإسلامية فجاءك عنوانه بشرط الآية الكريمة : ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾^(٣) . وتشعر في نفسك بجاذبية خاصة عندما تطالعك

(١) أعني بالإضافة إلى كتابه : (القصص الرمزي في القرآن - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته) وسبق في الكلام عنها حسب المقام .

(٢) على مائدة القرآن ، دين ودولة : ٢٥١ . الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠٥ ط . دار الكتب العربي ، بيروت

(٣) سورة المائدة : ٤٩ .

في هذا الفصل موضوعاته التالية :

- المجتمع الإسلامي : حكومة وشعباً في القرآن .

- الحاكمية الإسلامية : عدالة وشورى .

- وحدة المحكومين وحريتهم .

- قواعد الأمن العام في المجتمع الإسلامي .

- العدالة الاجتماعية والاقتصادية كما يقرها القرآن .

- عسكرية الإسلام : دعوة ودفاع .

- الأجانب في دولة الإسلام : رعاية وحذر .

ثم ذكر المؤلف عدة آيات يفسرها جوانب من الآية الكريمة التي جعلها عنواناً للبحث نذكر منها :

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾^(١) .

﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر﴾^(٢) .

﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾^(٣) .

﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾^(٤) .

﴿وما أنت عليهم بجبار﴾^(٥) .

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾^(٦) .

عَدَّ القرآن من الحاكمية المفسدة أن يفرق الحاكم رعاياه شيعاً بها

(٢) سورة الحج : ٤١ .

(٤) سورة الأعراف : ١٤٢ .

(٦) سورة شعراء : ٢١٥ .

(١) سورة البور : ٥٥ .

(٣) سورة الأنساء : ٧٣ .

(٥) سورة في : ٤٥ .

يُميّز بينهم بسياسته المختلفة ، فقال عن فرعون : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾^(١)

واستدل من هذه الآيات وغيرها أن الحاكمية الإسلامية مسؤولية وتكليف ، وليست مفخرة وتشريفاً . فقال رحمه الله :

«عرفنا من آيات القرآن عن الحاكمية الإسلامية . . أنها تكليف بأمانة ثقيلة ، لا تشريف بجاه عريض ، أو مال طائل . . وأنها مسؤولية ضخمة يضعها الله ، أو يريد من عباده أن يضعوها على أعناق الأئمة الأقوياء منهم .

وقد نص القرآن على ركني الحاكمية - وهما القوة والأمانة - لأنها ركيزتا كل ما يطلبه من المحكومين : من عدل ورحمة ، وحرص على مصالحهم ، وتفريق لكرهم ، ودفاع عن حماهم ، وحفاظ لحقوقهم ، وإنزال كل منهم في منزله ، بلا تمييز ولا تفضيل ، وفتح أبوابه لمظالمهم وحاجاتهم ، والاهتمام برعاية ضعافهم ، وجهاً لهم ويتأمامهم ، وعدم الترفع عليهم ، ولا التعالي على نصائح الناصحين منهم . . »^(٢)

ثم تابع تفسيره للآية الكريمة وثبت استنتاجه منها بالأحاديث النبوية فقال :

«يقول عليه الصلاة والسلام عن ركن الأمانة في الحاكمية الإسلامية : (ما من راع يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاشٍ لهم إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة) . . ويقول أيضاً : (من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً - فقلد رجلاً على عصابه ؛ وهو يجد في العصابة أرضى منه ؛ فقد

(١) على ماثل القرآن ، دين ودعوة : ٢٥٦ ، ٥٦٠ من سورة محض ٤

(٢) على ماثل القرآن ، دين ودولة : ٢٥٦

خان الله ورسوله).

وأعجب من ذلك وأملاً للقلوب المؤمنة بقدامة الحاكمية الإسلامية وإنسانية الحاكم المسلم ما كان يقوله بني الإسلام عليه الصلاة والسلام: (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)١. وما كان يخوف به الحكام بعده من الاحتجاب عن حاجات رعاياهم، والاستعلاء على مجالسهم:

(من ولي من أمر المسلمين ثم أغلق بابَه دون المسكين والمظلوم وذِي الحاجة أغلق الله أبواب رحمته دون حاجته وفقره أحوج ما يكون إليها).

ويوجز عمر في كلمتين له المعنى السامي للحاكمية الإسلامية فيقول في الأولى: «والله ما أرسل إليكم عمالي ليضربوا بأبشاركم ويأخذوا أموالكم، ولكن ليعلموكم دينكم، فمن فعل به غير ذلك، فليرفعه إلى!!» ويقول في الثانية وهي موجهة إلى ولاته وعماله على الأمصار: «ألا لا تضربوا المسلمين فتذلّوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم، فتكفروهم».

وتكملة لهذه الصورة الرائعة للحاكمية الإسلامية، نتذكر الحديث النبوي المراضي الثلاث التي رضيها الله سبحانه خلقه، وكانت ثالبتها: «أن يناصحوا من ولاة الله عليهم». . والحديث النبوي عن وجوب السمع والطاعة للحاكم المسلم، ولو كان عبداً حبشياً، كأن رأسه زبيبة»(١).

ثم دفع توهماً خطيراً يتوارد على قلوب الدهماء ويستغله المنافقون والمتملقون في التقرب للحكام والأمراء وبين حق المحكوم وواجبه تجاه نصيح ومراقبة الحاكم، فقال رحمه الله:

(١) على مائدة القرآن، دين ودولة: ٢٥٧-٢٥٨

«ومن الغفلة البالغة مداها : أن يعتقد بعض الناس أن نبي الإسلام يأمر أمته بإطاعة حكامها ، وهي عمياء صماء بكماء ، حتى ولو كانوا عبيداً سوداً لمجرد أنهم حكام وكفى !! .

ومفهوم الحديث النبوي - كما أسلفنا - يطالب المسلمين بمواجهة الحاكم الطاغوي الباغي الذي لا يحكم بما أنزل الله . ولو كان حراً قرشياً ، وأن يراقبوه ويحاسبوه وينصحوه - كما كان أسلافهم يفعلون - بالصالح والنوافع من شؤون الدنيا والدين»^(١) .

(١) على مائدة القراء - دين ودولة : ٢٥٩ .

بهره بالحق بوجوب الحكم بما أنزل الله

وتصدى الشيخ بعد ذلك للموضوع ذاته ، ولكن رداً على وزير الأوقاف السابق في مصر أيام وزارته وهو الأستاذ أحمد حسن الباقوري^(١).

وقد أجاب الباقوري عن سؤال لتطبيق الآية : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ على حكام بلده وأمثالهم يومئذ (شوال ١٣٩٢ هـ). وقد اعتذر الباقوري عنهم بأنهم في (حالة الضرورة التي تبيح المحظور) وأنهم يعتقدون بالدين الإسلامي ووجوب الحكم به لذلك «فغاية ما يحكم به على أحدهم بأنه مذنّب ، ولا يجوز الحكم عليه بالكفر والخروج من الدين»^(٢).

واستشهد لهم بتفسير عطاء للآية ولفتوا فيمن تراخى في زمانه عن حكم الله مع اعتقاده به فحكم بغيره . وأسهب الأستاذ الداعية أحمد جمال بالرد عليه بمناقشة علمية جادة وحامية في كتابه (القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته)^(٣)، وفند استدلاله ، لكن فات الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال أن يذكره بأمور أساسية في دعواه ، نذكر منها :

(١) وقد تخرج من كلية اللغة العربية بالأزهر، وهو معروف منذ كان يافعاً بالطموح والنشاط ، وكان أيام تحصيله في معهد القاهرة الثانوي يقود المظاهرات والاشتباكات التي تقع بين ضلّات الوجه البحري وطلاب الوجه القبلي أيام الاحتلال لمصر بسبب المنافسات الاقليمية والسببية وانصرف بعد حصوله على الشهادة العالية (الليسانس) في اللغة العربية لممارسة النشاط الاجتماعي والعلمي والسياسي ، وتنفق بين عدة كتل واتجاهات مختلفة ، ثم ذهب يفتي في مسائل الدين فتناوى شدة منكرة ، نحو فتواه أنه يجوز للمرأة أن تصلي بلباس السباحة (المايوه)؟! (راجع للتوسع كتب مددا عن المرأة ، د. نور الدين عتر ص ١٦٧) ، ط . دار الفكر بدمشق

(٢) القرآن الكريم كتاب أحكمت الله من ١٢٦ ماعلاً عن مجلة العربي (شوال ١٣٩٢ هـ)

(٣) انظر للتوسع الخ . ص ١٢٤ ١٢٥

١ - أن قياس الباقرى هنا مع الفارق فلا يقبل الاحتجاج به . فإن الذين أفتى بشأنهم بعض المفسرين المتقدمين يختلفون تمام الاختلاف فى عموم تمسكهم واعتقادهم ونسبة مخالفتهم عن كثير من الحكام المعاصرين الذين اشتملهم الباقرى بدفاعه وفتواه .

٢ - زعم الباقرى أن الضرورة ألزمتهم بذلك أمر غير صحيح أبداً ، فما هي وجوه الضرورة لتصرفاتهم ، وقد نسفت الآن مبادئهم ومخططاتهم ولم تمنع الضرورة من ذلك . اللهم إلا إذا كان قصده ضرورة بقائهم فى مناصب الحكم بمرضاة الملاحدة والكفرة .

٣ - أن ذلك النوع من الحكام كانت تصحبهم فى حياتهم قرائن قوية فى تصريحاتهم وقوانينهم وتخطيطهم وإعلامهم على الاعتقاد بنظم ومبادئ شيوعية وعلمانية وإلحادية بحتة . وهذه قرائن قوية يصعب الزعم معها بأنهم كانوا أصحاب عقيدة إسلامية صحيحة .

ولسنا بصدد البحث فى هذا الجانب فنحيل القارئ إلى التعرف على جهود الأستاذ الداعية فى خدمة تفسير القرآن بمطالعة كتبه المذكورة .

خامساً : الشورى في القرآن *

ويبحث الأستاذ الداعية رحمه الله في الشورى في ظلال آيات الذكر الحكيم ، فتحدث عن وجوب الشورى تحت عنوان (الالتزام بالشورى)^(١)

فذكر فارقاً أساسياً بين الشورى وبين الديمقراطية ، ثم قال :
« وإنما تبحث الشورى الإسلامية عن الحكمة والرشد والصواب عند أهل الذكر وتنتهي عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ففي القرآن الكريم :

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾^(٢)

﴿ فاسأل به خبيراً ﴾^(٣)

﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾^(٤)

وفي الحديث النبوي ، وأخبار الخلفاء الراشدين : « ما ينص على أن الشورى إنما تُطلب من أولي العلم والتقوى ، وترجى عند أهل الحل والعقد »^(٥) .

★ كن الأستاذ المؤلف عضواً في "ول محسن للشورى في السعودية وفي مجالس أخرى .

(١) في الفصل الخامس من كتابه على مدّة لقرن ، دين ودولة : ٢٧١ .

(٢) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٥٩ .

(٤) سورة فاطر : الآية ١٤ .

(٥) على ما عند المحققين . دين ودولة : ٢٧١ - ٢٧٢ .

ثم ألح إلى قصتين عظيمتين في القرآن المجيد تتصلان بالحكمة من الشورى اتصالاً وثيقاً. فقال :

«في القصة الأولى يصور لنا استبداد فرعون مصر وطمغيانه ، وامتداد تزيين الشيطان له سوء عمله ، وصدده عن السبيل حتى ألّه نفسه، وحشر ملاءه ونادى فيهم : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾^(١) وحاول أن يقنعهم فقال : ﴿ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾^(٢) ثم ألزّمهم رأيه مدعياً رشدّه وإخلاصه ﴿ما أرى لكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد!!﴾^(٣).

هكذا يجزم فرعون مصر بأنه إله ، ويلزم ملاءه برأيه وحده، ويحكم بأنه بما يقدمه لهم من قول أو عمل إنما يهديهم به سبيل الرشاد . . فلا تعقيب ولا رد ، ولا شورى ولا استنكار من ملئه عليه!!^(٤).

ونسترسل مع سرده القصة الثانية وتبيان حكمة الشورى وعبرتها فيها ؛ وفي الاعراض عن الشورى في القصة الأولى . . . إذ قال المؤلف رحمه الله :

«وفي القصة الثانية نجد امرأة . . نعم امرأة- وليست رجلاً كفرعون مصر- نجد ملكة سبأ عندما دعاها النبي الملك سليمان دعوة الحق إلى الإسلام ، تجمع ملاءها لتأخذ شوراهم في مادعيت إليه من أمر جديد عليها وعليهم : ﴿قالت ياأيها الملأ إني ألقي إلى كتاب كريم . . إنه من

(١) سورة النازعات آية ٢٤ .

(٢) سورة القصص : آية ٣٨ .

(٣) سورة غافر : آية ٢٩ .

(٤) نفس المصدر : ٢٧٣ .

سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . . ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ﴿ ثم قالت : ﴿ أفئتوني في أمري ، ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ﴾ (١) .

أليس هذا مثلاً رائعاً لعقل امرأة وفضلها . . امرأة تستشير قومها في أمر عرض لها ، وتقول لهم بصريح القول : ﴿ ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون ﴾

وليس هذا هو كل مافي قصة بلقيس من روعة وحكمة وسداد رأي ، فقد اغترملوها وأخذتهم العزة والتباهي برجولتهم وقوتهم أخذة طاغية ، فقالوا : ﴿ نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ﴾ ثم طامنوا من كبريائهم وغلوائهم ، ففوضوا الأمر إليها : ﴿ والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ؟ ﴾ .

هنا أشبعت بلقيس الأمر عقلاً وفضلاً ، وأمتعت الملاء - ملأها وكل ملأ يقرأون قصتها بعدهم - بما أعلنت من حكمة وسداد رأي ، فقالت : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ وقد أيد ذلك القرآن ، وأكد به قوله : ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ .

وهكذا انتهت «الشورى» في قصة ملكة سبأ بسلامتها وسلامة قومها وإسلامهم ﴿ مع سليمان لله رب العالمين ﴾ !! وانتهى الاستبداد والطغيان في قصة فرعون مصر بفرقه وجنوده في اليم أولاً ثم : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس المورود ﴾ .

ولكن القرآن يورد هذه القصة ويعمد - عمداً صريحاً - إلى بيان حكمتها وعبرتها . . وهي حكمة «الشورى» وعبرتها . . التي هدت

(١) قصة بلقيس ملكة سبأ في سورة النمل وحصة في الآيات : ٢٩ - ٣٢ .

بلقيس إلى الإسلام مع سليمان . «والإسلام» هودين الله منذ الأزل وإلى الأبد . ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(١)

وبين المؤلف وجوب الشورى على المسلمين حكاماً ومحكومين مستدلّاً بآيات الذكر الحكيم وتطبيق النبي الكريم فقال :

«إذن فالشورى أساس متين من أسس العدالة الاجتماعية والسياسية الإسلامية ، وهذه لبنات هذا الأساس المتين من القرآن المبين : يؤكد القرآن وجوب الشورى بين المسلمين حكاماً ومحكومين فيقول :

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ .

وهذا ما حدث فعلاً في العهد النبوي المبارك ، وحكم الخلفاء الراشدين بعده ، وحكم أمراء المؤمنين العادلين بعدهم ، ثم يشير القرآن على أن أمراً إلهياً ، قد صدر إلى نبي الإسلام - وهو من هو وحياً وهدياً - بالتشاور مع أصحابه فيما يعزم عليه من أمر ، فيقول :

﴿وشاورهم في الأمر﴾ .

وقد أخذ نبي الإسلام - عليه السلام - بمبدأ الشورى كما أمره ربه ، فشاور أصحابه فيما يكون به الإيذان بالصلاة ، وشاورهم في أسرى بدر ، وأشير عليه باتخاذ المنبر للخطابة فاتخذه ، وأشار عليه سعد بن معاذ ببناء عريش له في بدر فقبل ، وأشار سلمان الفارسي بحفر الخندق في غزوة الأحزاب ففعل ، وأشار عليه الحباب بن المنذر بأن ينزل المسلمون عند أدنى ماء من العدو يوم بدر فقبل شوره . وأشار بعض أصحابه بملاقاة

(١) على مائدة القرآن ، ديب ودولة : ٢٧٣ ٢٧٤ ولآلة لآخرة من آل عمران : ٨٥ .

المشركين يوم أحد خارج الدينة فوافقهم وكان رأيهم أن يحاربهم داخلها»^(١).

ذكر المؤلف هذا التفسير للقرآن بأفعال النبي وتطبيقه العملي في واقع الحياة، ثم أوثق تفسيره وأتمه بآثار بعض الصحابة وبأحاديث أخرى عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، فقال المؤلف رحمه الله :

«وسأله على بن أبي طالب آخر الخلفاء الراشدين عن المشكلة لم ينزل فيها قرآن ولم يروها حديث نبوي؟ فقال ﷺ: اجمعوا لها العابدين من المؤمنين فاجعلوها شورى بينكم. ومن حديثه الشريف «المشورة حصن من الندامة وأمان من الملامة». ومنه أيضاً «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمركم إلى نسائككم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه في تفسير قوله عز وجل :

﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ أنه ﷺ سئل عن (العزم)؟ فقال : «مشاورة أهل الرأي ثم أتباعهم». كما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : لو «اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما». ويقول أبوهريرة - في المستدرک - «مارأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ».

وهناك ما لانهضه من نماذج مشاورة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لكبار الصحابة فيما عرض لها أيام خلافتها من مشكلات وقضايا

(١) على مادة القرآن، ديس ودولة ٢٧٤

داخلية وخارجية . . وقد روي عن عمر أنه قال مرة : « من قام بهذا الأمر أي الحكم - فهو تبع لأولي الرأي » وقال مرة أخرى : « إني لم أزعجكم إلا أن تشتركوا في أمانتي وفيما حُمِلت من أموركم ، فإني واحد كأحدكم . . . » (١) .

وخصص المؤلف رحمه الله كتابه (مأدبة الله في الأرض) لتفسير آيات مختارة من القرآن المجيد ، وصنفها حسب موضوعاتها في سبعة فصول ، فجاء عنوان أحد مباحث الفصل السادس هكذا : ﴿ فيها رحمة من الله لنت لهم ﴾ (٢) ثم ذكر هذه الآية بتمامها وأيد تفسير جوانبها بأخواتها من آيات الذكر الحكيم عن الرحمة بين المؤمنين وبين الحكام والمحكومين وعن الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والقول العذب اللين . والنصيحة الصادقة الخالصة من الأغراض الشخصية والمطامع ، قال الله تعالى :

﴿ فيها رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٣) .

وتكلم المؤلف عن الشورى بعد تلك الجوانب فقال رحمه الله : « وهذه الصورة البارزة المشرفة التي يقدمها القرآن لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام - كحاكم سياسي وكقائد عسكري . ولكل أمير ووزير ، بل كل معلم ومدرس . . أي لكل من ولاه الله أمر جماعة من المسلمين في أي مجال أو ميدان من شؤون الحياة - على حد تعبير الرسول نفسه ﷺ في

(١) على مانلة القرآن دين ودولة : ٢٧٤ - ٢٧٥

(٢) مأدبة الله في الأرض : ٣٨٤ - ٣٩٣

(٣) سورة آل عمران : ١٥٩ .

حديثه «ألاكلكم راع . . وكلكم مسؤول عن رعيته» .

إن كل الحكام والولاة والدعاة والمعلمين يوجههم القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة إلى أن يكونوا في سياسة أمهم، ورعاية شعوبهم، وتربية طلابهم وشبابهم: رفاق الأئمة، لطاف الأخلاق، يسود كلماتهم وحركاتهم الرفق واللين . . مع العفو عن المخطيء والاستغفار له، وإشعاره بأنه مازال أخاً حبيباً قريباً في جماعة المسلمين .

وإذا كان الله عز وجل يقول لنبيه الرؤوف الرحيم: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾^(١).

فالحكام والولاة والرعاة أولى بهذا التوجيه القرآني إلى خفض الجناح لرعاياهم وأمهم وشعوبهم .

وليس هذا فحسب . . بل هناك توجيه «مهم وخطير» في الآية نفسها، توجيه للرسول عليه الصلاة والسلام - وهو من هو عصمة من الخطأ وسلامة من الزلل، وهو الذي لا ينطق عن الهوى كما يصفه القرآن نفسه - إلى مشاورة أصحابه - إلى مشاورة أصحابه . والاستماع إلى آرائهم والأخذ بالصائب منها :

﴿وشاورهم في الأمر . . فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ .

فهو أمر صريح من الله لنبيه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى بأن يشاور أصحابه فيما يعرض له من شؤون وقضايا في السلم والحرب . والشدة والرخاء .

وقد ثبت تأريخياً وواقعياً - من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٥

أنه كان يشاور أصحابه من مهاجرين وأنصار في أمور الدولة وشؤون الرعية»^(١).

والمح إلى مشاورة النبي ﷺ أصحابه في بدر وأحد والخندق، ثم أيد بحثه بتفسير موجز لآية الشورى الثانية فقال :

«ويؤكد القرآن صفة لازمة للأمة الإسلامية . . . وهي (الشورى) فيما بينهم . وذلك في قوله تبارك وتعالى - في سورة سميت باسم هذا المبدأ السياسي العظيم (سورة الشورى) - : ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، وما رزقناهم ينفقون﴾^(٢).

ونلاحظ هنا أن (الشورى) قرنت بركنين من أركان الإسلام، وهما الصلاة والزكاة . . فهي إذن لازمة لزومها وواجبة وجوبها . . لأن الشورى لا تقل بركة وخيراً عن الصلاة والزكاة . . على مستوى الفرد ومستوى الجماعة معاً.

ونجد عبر السيرة النبوية وخلال سياسة الخلفاء الراشدين نماذج من (الشورى) والحث عليها، والالتزام بها فالرسول عليه الصلاة والسلام وهو - كما أسلفنا - المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى . . يقول لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما : «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما» وفي حديث آخر: سئل رسول الله ﷺ عن العزم فقال :

«مشاورة أهل الرأي ثم أتباعهم» وفي حديث ثالث نبه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أن يكون المستشار أميناً حيث قال : «المستشار مؤتمن» أي يجب ألا يخون من استشاره وألا يكذب عليه، وألا يغشه فيما

(١) مآذبة الله في الأرض : ٣٨٩ ٣٩٠

(٢) سورة الشورى . آية ٣٨

بيدي له من مشورة»^(١).

فكشف في هذا البيان - رحمه الله عن بعض صفات أعضاء مجلس الشورى ؛ بعد أن أكد بالدليل وجوبها وأهميتها البالغة في نظام الحكم الإسلامي ثم واصل بيان صفات أعضاء مجلس الشورى تمييزاً لهم عن أعضاء المجالس الديمقراطية المعاصرة فقال رحمه الله :

«وهنا ملاحظة مهمة ينبغي أن ننتبه لها كل الانتباه وهي أن (الشورى) الإسلامية لا تؤخذ من العامة والرعاع ؛ الذين تشتري أصواتهم بالمال وبالوعود الخادعة ، ولا بمن يختارهم هؤلاء الرعاع والعامة ممن يسمونهم (نوايا) .

وإنما تؤخذ الشورى - في النظام الإسلامي - من أهل العلم والفهم ، وذوي الحكمة والخبرة ، فهؤلاء هم أصحاب الرأي السديد الرشيد . . . وهؤلاء هم الذين كان الرسول عليه الصلاة والسلام يشاورهم ، وكان الخلفاء الراشدون يشاورونهم ، وتمت بيعة أبي بكر أول خليفة في الإسلام على أيديهم كما تم تنصيب الخليفة الثالث عثمان بن عفان بناء على آراء مجموعة من خيار الصحابة الأجلاء»^(٢).

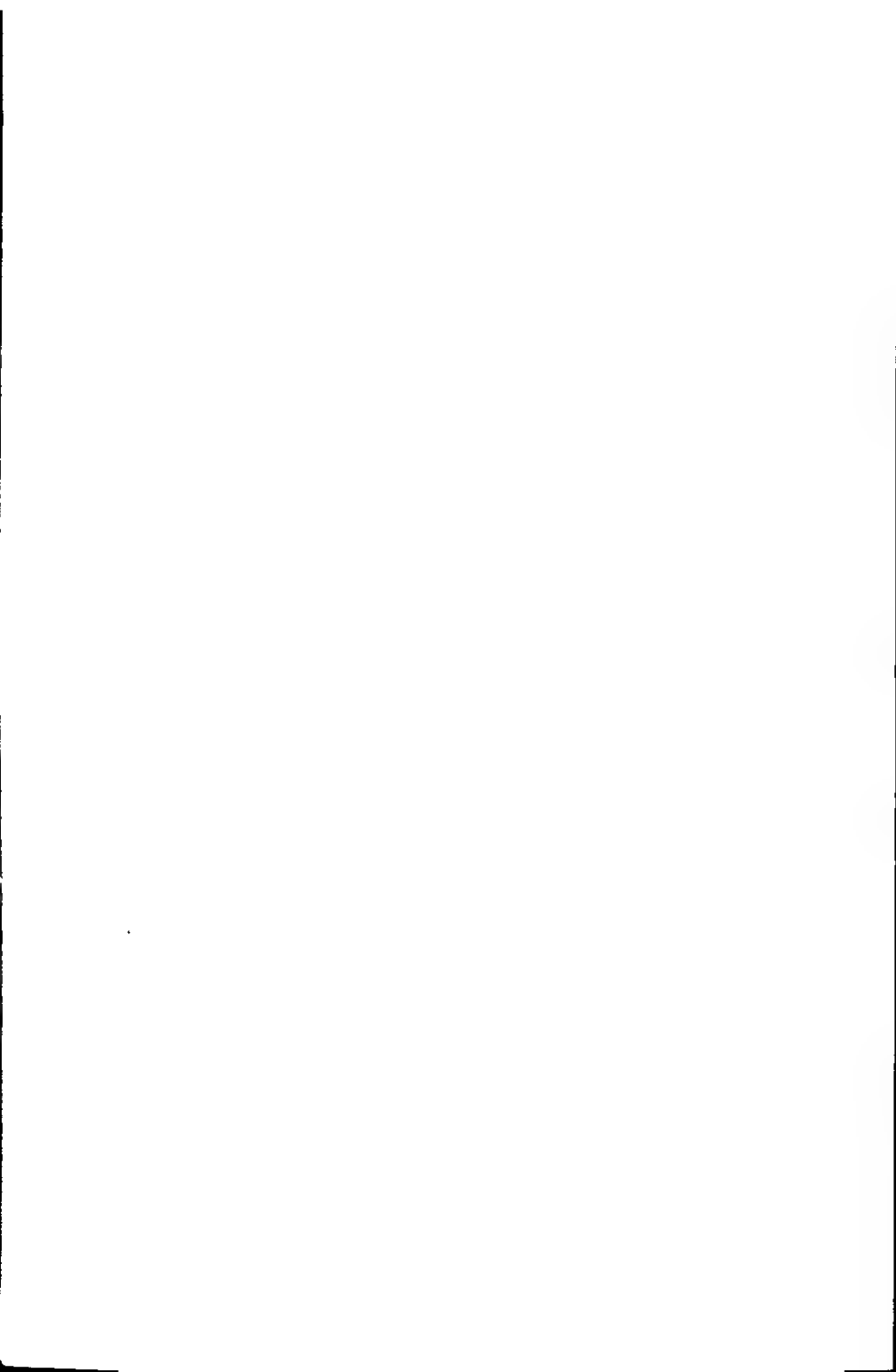
أقول : وأكتفي بهذا العرض مما كتبه المؤلف رحمه الله حول هذا الموضوع الجليل ، وسيصدر كتابنا (الشورى في الإسلام) عن قريب بإذن الله .

والحق أن كتابات الأستاذ الشيخ أحمد محمد جمال رحمه الله عن نظام الحكم وعن الشورى ؛ وفي الرد على الآراء المدسوسة المسمومة ؛ ونقد الأوضاع المشينة في المجتمع الإسلامي ؛ صرخة ، عظيمة لا يقاظ

(١) مادة الله في الأرض : ٣٩١-٣٩٢

(٢) مادة الله في الأرض : ٣٩٢ ٣٩٣

الأمة من عميق سباتها ، وجهر بالحق في وجوه الطغاة والمتآمرين وأذئاب
الاستشراق والغزو الفكري والنفوذ السياسي والاجتماعي .
وهي في نفس الوقت كلمة نصح صادقة أمينة واعية تهدف إلى
إصلاح الأمة الإسلامية ورفيها وعزتها بالتمسك بدين الله عز وجل .



منهج المؤلف في تفسيره للآيات القرآنية

يمكنك من خلال ما عرضنا آنفاً أو من مطالعاتك لما كتبه الأستاذ الداعية أحمد محمد جمال - رحمه الله - أن نستخلص له منهجاً عاماً في تفسير آيات القرآن الحكيم، ونلاحظ فيه مايلي :

١ - تفسير الآية من القرآن بآيات أخرى تؤكد معناها أو تبين مجملها، أو تزيد عليها في تبين مراد الله من كلامه القدسي العظيم .
وعبر العلماء عن هذا الملك بأنه تفسير القرآن بالقرآن^(١) .

٢ - تفسير القرآن بحديث النبي ﷺ . وهو المعروف لدى المفسرين بأنه تفسير القرآن بالسنة^(٢) . قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر .

فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له^(٣) .

٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة كما لاحظت في استشهاده بكلام

(١) مقدمة التفسير لابن تيمية : ٩٣ / والاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي : ١٧٤ / ٤ .

(٢) الاتقان : ١٧٤ / ٤ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي : ١٥٦ / ٢ ، والتفسير والمفسرون ١ / ٣٣ و ٤٥ .

(٣) مقدمة التفسير ، ابن تيمية : ٩٣ . و نظر أدلته : ٩٣ - ٩٥ .

عمر بن الخطاب ودرج على هذا المسلك أئمة التفسير المتقدمين والمتأخرين^(١).

٤- التعويل على أسباب النزول في تفسير الآية. والتعرف عليها بأحاديث النبي ﷺ أو بأقوال الصحابة، وعندئذ لها حكم الحديث المرفوع. وقد درج الأئمة من قبل على ذلك.

٥- تفسير القرآن بأقوال أئمة التابعين، فإنه اعتمد ذلك نقلاً عن الامام ابن كثير وغيره في رد النسخ عن بعض الآيات التي زعم ابن حزم نسخها- وهذا مسلك معتمد عند أئمة التفسير^(٢)، وهذه الخطوات هي أركان التفسير بالمأثور، وهو منهج كثير من المفسرين المتقدمين وبعض المتأخرين^(٣).

٦- تفسير القرآن بالأخذ المطلق للغة العربية^(٤).

٧- تفسير القرآن بقواعد التفسير المعتمدة لدى أئمة التفسير، كما رأيت في النسخ؛ وفي ترجيحه بقاعدة «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

٨- التفسير بالاستنباط الذي يدل عليه النص دلالة قوية راجحة^(٥) وهذا اقتداء بأئمة التفسير أيضاً واستفاد من استخلاصهم كثيراً، وعول على اجتهادهم أيضاً.

(١) مقدمة التفسير، ابن تيمية: ٩٥-٩٧، ولبرهان: ١٥٧/٢.

والآفتان: ١٧٤/٤. والتفسير والمفسرون، لنذهبي: ٩٩/١-١٠٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٥٨/٢. ومقدمة التفسير، لابن تيمية: ١٠٢-١٠٥ والآفتان: ١٨١/٤.

(٣) مقدمة التفسير: ٩٣-١٠٥. ومساهل العرفان: ١٢/٢ وماجدها.

(٤) البرهان: ١٦٠/٢.

والآفتان: ١٨٢/٤.

(٥) البرهان: ١٦١/٢، والآفتان: ١٨٢/٤-١٨٣. ومساهل العرفان: ٥٩/٢.

٩- الترجيح بين الأقوال المتعارضة بدليل قوي من القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة المفسرين أو بقاعدة من قواعد التفسير المعتمدة عند أئمة التفسير. أو بالموازنة الفكرية والمحاكمة المنطقية السلمية.

١٠- عرض ذلك بأسلوب بياني سلس متماسك جذاب خلاّب، تتجلى فيه فاعلية القرآن العظيم وعميق تأثيره في الأئمة والقلوب.

وقد اكتفيت بهذا القدر اليسير لإعطاء صورة طيبة وافية. ولكن لا أدعي له العصمة في مؤلفاته، كما أنه لم يكن في أوج شهرته يدعيها لنفسه «فليس منا إلا من ردَّ أو ردَّ عليه إلا صاحب هذا القبر» وهو رسول الله ﷺ.

وبلاغة الكاتب في مراعاة مقتضى الحال، وقد دونت هذا المبحث وفقاً للمقام الذي نحن فيه «اذكروا محاسن هوتاكم».

وأسأل الله تعالى أن يتقبل جهدي هذا وكل جهد بذلته وأبذله في خدمة الإسلام- خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتغمّد الأستاذ الداعية الراحل أحمد محمد جمال بواسع رحمته، ويدخله فسيح جناته في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء الصالحين، وأن يعوض الأمة الإسلامية والشعب السعودي خاصة خيراً، وأن يوفق شبابنا لتقدير علماء الإسلام والإفادة منهم في حياتهم قبل فوات الأوان وأن يقبلنا في زمرة العلماء الأتقياء العاملين المخلصين.

وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد إمام المرسلين وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

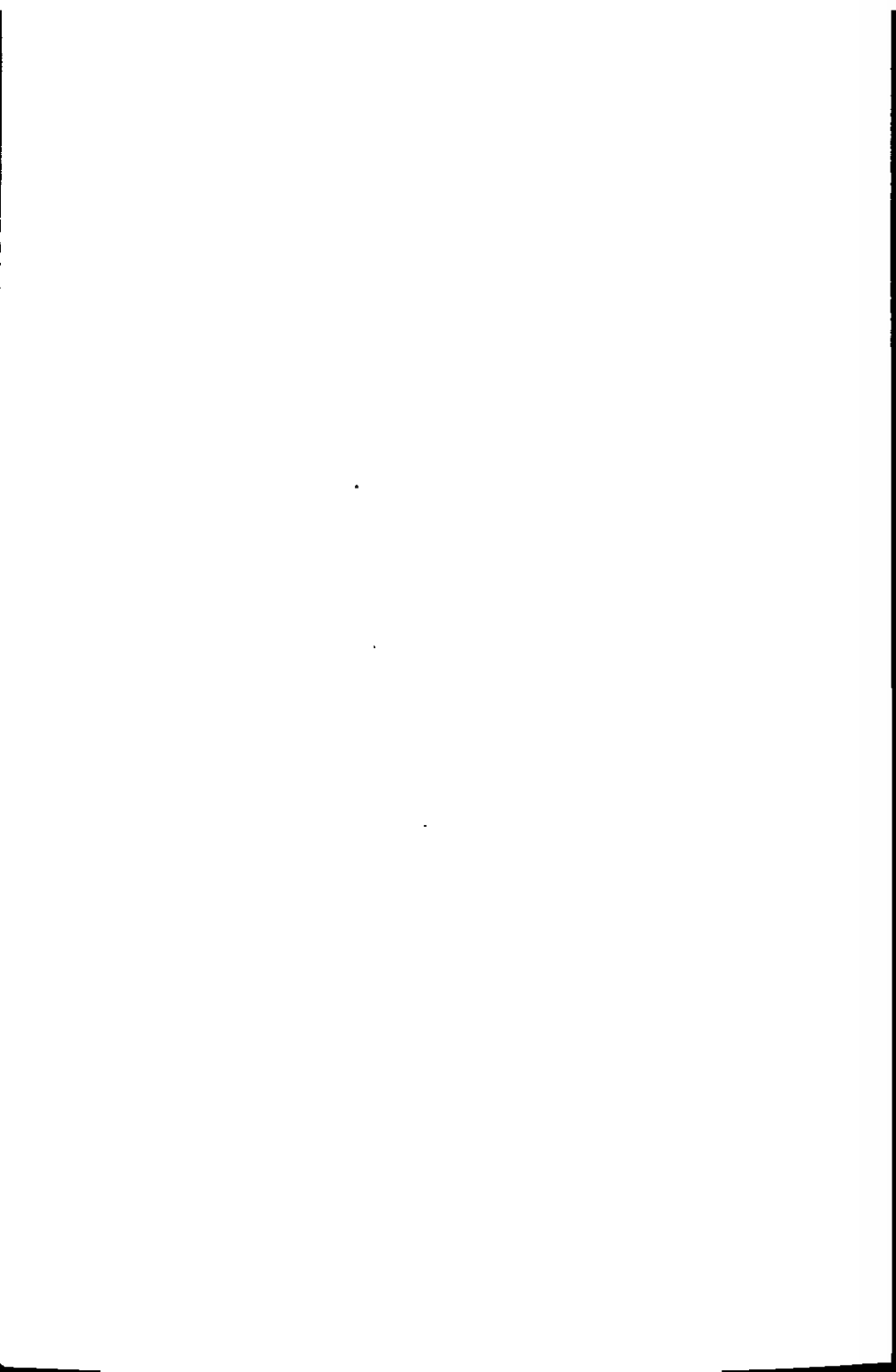
ثبت المراجع

- القرآن العظيم، كتاب الله تبارك وتعالى.
- الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ط. المشهد الحسيني بالقاهرة
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ط. ثانية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- تحفة الأحوذى، شرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ط. الهند.
- تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ط. دار الشعب. القاهرة.
- التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ط. ثانية. دار الكتب الحديثة سنة ١٣٩٦هـ. مصر.
- جامع أحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري. ط. دار المعارف القاهرة.
- روح المعاني، محمود شكري الألوسي، ط. المنيرية. مصر.
- سيرة النبي، عبد الملك بن هشام، ط. القاهرة ١٣٨٤هـ.
- صحيح البخاري، الامام البخاري، ط. مصر.
- صحيح مسلم، الامام مسلم، ط. مصر.
- على مائدة القرآن، دين ودونة، أحمد محمد جمال، ط. رابعة، دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ، بيروت.

- القصص الرمزي في القرآن، أحمد محمد جمال، ط. رابعة. دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٥هـ، بيروت
- القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته «أحمد محمد جمال، ط. رابعة، دار إحياء العلوم، سنة ١٤١٢هـ، بيروت.
- مآدبة الله في الأرض، أحمد محمد جمال، ط. ثالثة، دار إحياء العلوم ١٤١٤هـ، بيروت.
- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، ت. المكتب الإسلامي، بيروت.
- ماذا عن المرأة، د. نور الدين عتر، ط. دار الفكر، دمشق.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ط. ثالثة. القاهرة.
- مقدمة في أصول التفسير أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط. دار القرآن الكريم سنة ١٣٩١هـ الكويت.

أحمد محمد جمال (رحمه الله)
ظاهرة فكرية

بقلم:
زهير محمد جميل كتبي
كاتب صحفي سعودي



الفصل السابع :

● أحمد جمال.. ظاهرة فكرية.

● حديث وحوار .

أحمد جمال.. ظاهرة فكرية

● لقد استهوتني شخصية سيدي الوالد العالم العلامة المفكر الإسلامي . . أحمد محمد جمال - رحمه الله - . . هذا الرجل المكيّ الولادة والمنشأ والتربية والتعليم والمسكن والمدفن . عرفته وعمري (١٢) عاماً عندما شاهدته في مكتب مدير مدرسة الإمام البخاري الابتدائية بحي الزاهر بمكة المكرمة الأستاذ/ أحمد على حسنين - رحمه الله - حيث جاء الشيخ أحمد جمال للسؤال عن مستوى أبنائه بالمدرسة ومنهم زميلي وصديقي الأخ (رجاء) . . حيث كنا في مقعد دراسي واحد . ومن ذاك اليوم حتى آخر لحظة من عمري سأظل أحترم وأقدر شخصية أحمد جمال . لقد كان لي شرف مرافقته في رحلته الأخيرة والتي كانت للقاهرة . فلقد تقابلنا بغير ميعاد في صالة نادي الفرسان بمطار الملك خالد بجدة ومعه أخوه محمود . فصلى بنا - رحمه الله - صلاة الظهر والعصر جمعاً وقصراً . وركبنا الطائرة وشاءت إرادة الله جل وعلا أن نجلس بجوار بعضنا البعض ومضت الرحلة في زمن سريع ولم نشعر بها ودارت بيننا أحاديث فكرية وصحافية وسياسية ، ووصلنا مطار القاهرة . وهناك تم الوداع على أمل اللقاء ولم أكد أعرف أنه الوداع الأخير مع هذا الرجل العظيم الذي طلب مني أن نعود إلى مكة المكرمة سوياً في رحلة واحدة ، فطلبت منه أن تكون العودة على رحلة الصباح فقال : لا يابني . . أفضل المسائية . واتفقنا بعد أسبوعين وحددنا يوم ١٤/١٢/١٤١٣ هـ ، وطلب رقم هاتفي بشقتي بالقاهرة فأعطيته البطاقة التي تحمل عنواني

ورقم هاتفى ومضى ومضيت . وبعد أيام مضت يتصل بي الأهل في مكة المكرمة وطلبوا منى العودة للمشاركة في الفرحة بعيد الأضحى ويشاء الله أن أعود لبلادى الحبيبة يوم ٩/١٢/١٤١٣هـ في رحلة الظهر معاتباً نفسي لإخلاقى الوعد ، وهونفس اليوم الذى عاد فيه جثمان . . (أحمد جمال) . . من القاهرة . سبحان الله عودتنا إلى الوطن الحبيب بدون تخطيط مسبق وقبل الموعد الذى حددناه أنا والمرحوم . رحمه الله رحمة الأبرار .

● لقد استهوت شخصية . . أحمد محمد جمال . . الكثير من الشخصيات العالمية المرموقة ومن مشاهير السياسة والفكر والدعوة الإسلامية . وهذا الاعتراف الواسع لتلك الشخصية ذات الأهمية العالمية . إن شخصية . . أحمد محمد جمال . . تعلمنا الكثير من الفضائل التى تنطوي عليها النفس البشرية الفاضلة وأي نبل أصيل تتحول إليه عندما تحقق بشجاعة عظمى كونها أحمد جمال . وهذا الرجل هو بحق من أشهر مفكري هذا الجيل ، وربما كان الداعية المثقف الواعي الأشهر الذى يحترم الرأي الآخر بكل معاني الاحترام . إن أحمد جمال نسيج فريد بذاته من بين المفكرين الإسلاميين لقد سما هذا الرجل على أبناء جيله ، ولأبالبغ إذا قلت عنه : إنه أبرز من في هذا الجيل فكراً وثقافة ووعياً وإدراكاً وخدمة للإسلام وقضاياها . إنه يجاهد هنا ويكافح ويتفقد ويحاور . إنه كبير بين الرجال الأفذاذ وذلك بسبب إيمانه بالله سبحانه وتعالى ، وبسبب ثقة الناس به وبفكره وثقافته ونزاهته في اليد واللسان . فلم يكن أحمد جمال في يوم من الأيام صاحب قلم فقط بل صاحب رسالة . ولابد أن أعلن أن أحمد جمال أضحى مفكراً إسلامياً انتشرت

سمعته على محيط عالما إسلامي كله ولقد ذاع صيته في الآفاق . إنه يبرز كواحد من الشخصيات الفكرية الرائعة في هذا العصر العاصف بكل التحديات والمنغصات . وأجذني أقول وبكل فخر واعتزاز واحترام إن . . أحمد جمال . . منارة تضيء الغيوم وتنير الآفاق المظلمة وتوسع المدارك الضيقة : إنه المشعل الفكري الذي لا يمكن أن يخبو، إنه الرجل الذي تنبت بين أفكاره الحكمة الهادئة العميقة المليئة بالإيمان والرضا . وعندما يتحدث تشعر بتواضع كبير وبقسط أكبر من الصراحة والاتزان ، وبأسلوب فريد من حيث أناقة العرض وعمق الفكرة والبراعة في بسطها وسهولة شرحها وتفسيرها ، وهو أسلوب تميزت به كتاباته ومؤلفاته الكثيرة .

وكانت تلك الكتابات والمؤلفات قريبة إلى كل قلب وفي متناول كل فهم . إن حياة أحمد جمال هي قصة كفاح خليق بالتقدير يلهب الخيال ويوقظ في الذهن صورة حيّة للمثل الإسلامية العليا . ظلت شخصية هذا الرجل العظيم متمسكة متعلقة بالله سبحانه وتعالى فما خضعت لأية قوى أو تيار فكري متراجع وهش ، وهو صاحب مقاومة عفوية صادرة من الصميم . ودعوته التي لا تنتهي هي العمل على ارتقاء معالم الوعي عند الإنسان المسلم والمحافظة على أدوات تكوين ذلك الوعي . واشترط أن تكون مكونات ذلك . . «الوعي» . . مزيجاً من المبادئ والقيم الإسلامية . ولم يكن أحمد جمال ضائعاً تائهاً بين الثقافات ، بل كان مثقفاً واعياً وقارئاً متمازاً يقرأ من كل الثقافات الغربية والشرقية وحتى الملحدة منها . يفعل ذلك من أجل أن يكون في الميدان وحتى يستطيع التصدي وكشف الزيف وفضح الحقائق . والحقيقة

أقول : إن أحمد جمال استطاع بجدارة فائقة أن يجعل حياته الفكرية والثقافية أمثلة يقتدي بها أبناء جيله ومن جاء بعدهم وأبناء جيلي ، وسأظل أنا مفتخراً أن الشيخ الوقور المحترم . . أحمد محمد جمال . كان قدوتي . لقد مهّد الطريق لكثير من المفكرين والمثقفين . ولقد رأى المثقفون في أحمد جمال من الفكر والثقافة والدعوة ما جعلهم ينشأون معجبين به إلى درجة كبيرة من الاهتمام والتقدير متابعين أعماله الإسلامية والفكرية والثقافية ، قارئين كتبه ومؤلفاته ومقالاته ، مستمعين إلى محاضراته وأقواله .

حديث وحوار

● متى كان لأحمد جمال صفات تجعله يمتلك القدرة على الذبوع والانتشار . إنه زهولا ينبع من كبرياء ، وإنما من فعل وأداء وتأثير؟ .

لقد كان . . - رحمة الله عليه - فعلاً وأداءً وتأثيراً ، لذلك مضى عليه الوقت والتفت حوله الواجبات والمهمات الصعبة والمسؤوليات الشاقة والهموم بعضها ببعض ، وإذا جلست لأكتب عن شخصية هذا الرجل الفذ تزاحمت أمامي أشياء كثيرة مختلطة ، ذكريات لي معه وأحداث كفاحه التي أعرف عنها الكثير والكثير بحكم علاقتي الوطيدة والحميمة به كوالد وأستاذ وصديق صدوق ، عرفت وسمعت منه وقائع حلوة وأخرى مريرة وقاسية قسوة الصحراء ، وأحداث موحية وأخرى باهتة ، ومعظمها متشابك مع الغير ومن أجل الغير ، وكثير منها متعلق بالإسلام والمسلمين وقضاياهم . وتوقفت وتوقف معي الفكر والقلم في حيرة من أمري . هل أستطيع أن أكتب عن . . أحمد جمال . . وأكتب ثم أكتب كل ما أعرفه عنه وما وقع له من منغصات سياسية وفكرية وثقافية . الحقيقة أقول : وبكل شجاعة وجرة إنني لا أستطيع فعل ذلك إن . . أحمد جمال . . لاشك انه «ظاهرة فكرية» . . ليست عادية بل نادرة ، وهو الأكثر تأثيراً في تاريخ الدعوة الإسلامية المعاصرة بين علماء جيله . لأنه كان يكتب بحثاً عن . . (الحقيقة) . . وهذه الحقيقة هي المرتكز الأساسي الذي بنى عليه أحمد جمال حياته الفكرية والثقافية .

ويأتي . . (احترام الرأي الآخر) . . المرتكز الثاني في حياته، فهو يقول: إن اختلاف الرؤية عند كل كاتب ومفكر باختلاف الموقع والزمان والمكان والخلفية الثقافية إزاء الحدث والقضية. لذلك كان دائماً يردد لا بد أن نحترم . . (اختلافاتنا واجتهاداتنا واتفاقاتنا ومواقفنا الفكرية) . . ولا نفعل عند بروز الاختلاف، حتى لا تكون تلك الاختلافات عبئاً ثقيلاً علينا. وأذكر أنه ذات مرة تناقشنا حول إحدى المقالات الصحافية التي كتبها- يرحمه الله- تتعلق بمشكل إسلامي فقال لي: من الأمور الطبيعية أن يقع بعض الاختلاف أو الخلاف الفكري بين ما كتبت عن هذا الموضوع وبين ما كتب الآخرون، ولكن رأيي وقناعاتي الفكرية. وما اختلفنا لهوى وتباين الفكر، لذلك اختلف تصورنا لما فيه الخير للإسلام والمسلمين. هذا هو أحمد جمال المفكر المتزن صاحب العقل الراجح والفكر الناضج. تألم الألم الكبير من حرب الإبادة ضد البوسنة والهرسك وأذكر أنه علّق ذات يوم على هذا المشكل السياسي المعقد قائلاً: إحساننا بالمرارة لا يمكن أن يوصف، وقدر المهانة لا يمكن تحديد حجمه وشعب مسلم أصبح مشرداً ومغتصباً وطريداً، والأمة الإسلامية واقفة تنتظر حتى يقضى على البقية الباقية.

ويعتبر أحمد جمال المثال والقذوة الحسنة والرمز المخلص للوطن والانتماء الوطني. ولم يكن هذا إحساسي وحدي . . ولكنه إحساس الجماعة والأمة. وكان هذا الإحساس ينمو في أعماقنا يوماً بعد آخر. لأنه كان يشعر باهتمام أكبر بهوم الوطن وانشغالاتها. ولكن ذلك الشعور يتحول في يوم من الأيام إلى «غضب» لأنه يرفض الانفعال والتشنج أثناء معالجة أمور تتعلق بالوطن والمواطنين وكان هاجسه وإحساسه المرهف

هو أن يفعل كل شيء من أجل الوطن والمواطن . ذلك الفعل المخلص يحركه حسّ وطني دافق، وبقيده انضباط أخلاقي رفيع . إنه الحماس الوطني الذي يتحدث عن المملكة العربية السعودية بمحبة دافقة تثير الحمية في أي إنسان . كان يحكي عن المملكة العربية السعودية كوطن عظيم يخدم الإسلام وقضاياها ، وكان يلح على واجبنا كشباب في فعل شيء من أجل بلادنا ، وأن التاريخ سوف يحاسبنا يوماً . كل كلماته من أجل الوطن ملتزمة ومؤثرة وصادقة . إن . . أحمد جمال . . أستاذي في «الوطنية» ، وهو أول من أفنني بضرورة الكتابة في القضايا الوطنية . أنا أقرر هذه الحقيقة وأنا لا أنسى فضله عليّ ماحيت .

● أحمد جمال يجيب على أسئلة الناس في حذر وذكاء ، وهو شخصية مهيبة ومحترمة ، يمثل نقطة إشعاع للعمل الإسلامي . لا يتعامل مع الفكر المشوش وغير المستقر ، لأن أحمد جمال مثقف واسع الاطلاع ، حلو الحديث ، يقدم إليك تحليلات فكرية جيّدة ، فهو قاضٍ عادل ومنصف ، وهو مصدر مهم للمعلومات الإسلامية وصاحب روح لاثهاب المخاطر ، مفرط الحساسية لكل ما يتعلق بجوهر القضايا الإسلامية . يكتب بضمير مرتاح تماماً لأنه لا يجد مبرراً للتلاعب بأحداث التاريخ في محاولة لتصفية حسابات سياسية ، وتحمل مسؤولية العمل الإسلامي وعرف كل تفاصيله ، ولم يبال بما قد يترتب عليه من نتائج خطيرة . إنه صاحب نفس مطمئنة تتقبل مايقول بصدر رحب وترحيب شديد . وكانت له مواقف فكرية مضيئة ناضجة ضد الكثير من المواقف الفكرية المهترئة المهترئة . وتأصلت مواقفه هذه بالأصالة والجرأة والصراحة والوضوح . وكان يشعر بمرارة تأنيب الضمير إذا لم يقل كلمة

حق في موضوعها ، ولأنه لا يجب أن يعيش في مازق فكري . لقد وقف وحيداً في معالجة الكثير من المواقف الفكرية بينما كان الجوال العربي متوتراً . وكان يعرف مسبقاً أن معركته صعبة ، بل ومريرة . والحقيقة التي أود أن أتوقف عندها وأسجلها للتاريخ هي أن . . أحمد جمال . . يحتسب في ميزان التاريخ الإسلامي لأنه يقول كلمة الحق الإسلامي ولا يخشى لومة لائم ، ولا يخشى مغبة الحكام في أي بلد كان فهو مجاهد منقضى مجاهد بكفاءة وشجاعة وثقة عالية في النفس والموقف محتسباً لكل ما يعمله ليوم الموقف العظيم . يوم توزن أعمال المرء مانطق به وما كنتم . . إيماناً منه - يرحمه الله - أن باعث من في القبور يعلم سبحانه خائنة الأعين وما تخفي الصدور . إنه لا يجب أن يقف موقفاً ليس متطابقاً مع الحقيقة . وكان - يرحمه الله - لا يجب أن تتساقط الاقتراحات والأفكار وهي غير ناضجة لقناعته أن ذلك يضعفها ويفقدها قيمتها الفكرية . وأيضاً كان لا يجب أن يقحم . . «التخمين» . . في أحداث إسلامية دقيقة . ويكره التعليقات المليئة بالسخرية في المحافل الإسلامية والمتنديات الفكرية الأدبية ، وإذا شعر بذلك يتقدم ليكسر حاجز الرجوم ، والنظرات المشحونة بالغضب ليقول كلمات عميقة تبدد غيوم ذلك المناخ ، ولكن كل تلك الهموم والأعباء لم تجعله يغير من مواقفه الصلبة المتأسكة والواضحة . كل ذلك يتم على حساب أعصابه وصحته ووقته وعائلته . ويشعر بصدق كبير أن هناك تبايناً شديداً بين مواقفه ومواقف الآخرين ولكن لا يصاب بالخوف أو التراجع أو التردد . فالثبات والثقة هي المخرج من كل الأزمات والمنغصات . وترتفع أصوات النقد اللاذع والجراح ضده ، والشتائم التي تتهكم على فكره ، بل ارتفعت أصوات تطلب

منع . . أحمد جمال . . من الكتابة والنشر، ووقع هذا له - يرحمه الله - كثيراً لأنه صاحب قلم حرو ومخلص وواعي . ويتمتع الشيخ «أحمد جمال» . . بشخصية هادئة وقوية فعندما يبرز شخص يقدر فيه فإنه لا يرد ولا يفعل ، فقد كنت أعرف مدى سخونة المشاعر في نفسه ولكنه قادر على ضبط نفسه في اللحظة المناسبة ، ويمسك بزمام أعصابه مهما كان الموقف صعباً ومحرّجاً . ويتصرف بضمير نقي ، وبلا ضغينة ضد أحد ، ولا يحقد على أحد ، لأنه لا يرتكب خطأ يخشى منه ، أو يخشى أن يحسب عليه ، يتصرف وفق ما يعتقد أنه في صالح الوطن والمواطن وكان - يرحمه الله - يعتقد أن «الوطنية» . . مسألة تستحق أن يصحى الإنسان من أجلها . ولذلك فهو لم يتقلد منصباً رفيعاً ، ولكن كان له نفوذ كبير في المجتمع المحلي . وإذا كان البعض يؤيده فإن البعض الآخر ضده ، ولذلك فهو حريص على عدم . . (التصادم) . . ويرفض أي عمل من شأنه أن يثير المزيد من الشقاق ولهذا كانت رؤيته صافية . وهي من المواقف التي أعتز بها برغم كل ما قالوا وكل ما فعلوا . ولا يريد أن يتسبب في أي مشكلات ، وفي نفس الوقت لا يريد أن يخالف ضميره اليقظ وموقفه الرجولي ، ولذلك فهو لا يلتزم بما لا يوافق عليه . ولكنه لا يغلق الطريق أمام الحوار ، ولا يجب تجميع المواقف ، ولا يفعل ما يخالف ضميره ، بل تمسك بما اعتقد أنه صواب ، وأنه في صالح الوطن والمواطن . وعرف عنه - يرحمه الله - أنه لم يسع لخصومه مع أي من الأطراف وإن اختلف فإن الخلاف لا يكون على شيء شخصي أو مصلحة شخصية ، ولكن أحمد جمال يمتلك وجهة نظر واضحة وناضجة ، وهو دائماً القول : إن الموقف والمبدأ يستحقان أن يتمسك بهما الإنسان . ولذلك اختلف أحمد

جمال بشرف، وتمسك بمواقفه برجولة تستحق الاحترام، وتصرف بكامل العقل، وكامل الإحساس بالمسؤولية. وما أصعب أن تتمسك بالمبدأ الصحيح. ويحترم أحمد جمال الاختلاف الذي ينبع من اختلاف الرؤية والموقف والاجتهاد الذي لا تعبث به الأهواء، فلذلك لا يحمل لهم إلا كل حب واعتزاز. وكان أحمد جمال رجلاً بعيد النظر، لا يخطو خطوة إلا بعد حساب دقيق، لأنه قارئ ممتاز لذلك كان يولي مسألة المعرفة اهتماماً خالصاً، وكان مستمعاً جيداً، وتعامله مع الجميع يتم بوضوح وصراحة وإخلاص وهو نقطة توازن هامة في العمل الإسلامي. طيب القلب يجب أن يقيم علاقات حسنة مع الناس، ويتبسط معهم، وحياته منظمة يكره السهر ويصحو مبكراً للتفاعل مع الحياة، وصاحب علاقات شخصية حميمة، وهو شخص مرح وسخي، متفتح، واقعي، يمتلك موهبة الإقناع بصورة لا يمكن تخيلها فهو قادر على أن يقنعك بعشرات الحجج في موضوعك، ولديه قدرة أن يقنعك بنقيضه بحجج أخرى مضادة. نشيط وفاعل وذكي. وهو رجل شجاع، اكتسب بشجاعته واستقامته احترام الجميع. يطرح أفكاراً حاسمة وقاطعة ولا يقبل مساومة حولها. وهو رجل كفء، ونزيه، ولا يجامل أحداً على حساب الآخرين وقد حقق نجاحات كبيرة في كل عمل تولاه، وهو رجل إذا وعد يفي بوعده مهما كان الثمن. فهو صاحب عقلية سياسية مرتبة. ورؤية واضحة. وقد شارك في صياغة بعض أنظمة المملكة العربية السعودية المدنية. وأحمد جمال كتلة من الإخلاص للإسلام والوطن. وهو شخصية وطنية بمعنى الكلمة. إذا قرر شيئاً فعله بنجاح، وفوق هذا فهو رجل حاسم حازم. وهو مرتب الفكر، هاديء التفكير. لديه القدرة على

المواجهة والمصارحة الشديدة بصبره الهادي . وأمتازت شخصيته بجرمه
الله - بقدرة الانسجام مع الناس فهو يتفهمهم ويتحسس آرائهم
وقضاياهم ويخلص كل الاخلاص لقضاياهم . إذ أن فيه ثقة بهم يقابله
منهم احترام مكين وحب رائع شديد يصعب وصفه ، فهو يتحدث إليهم
بكل صراحة حديث القلب للقلب . وهذه الأحاديث هي سلاحه في
شرح مشاكلهم . وهو شهم في مواقفهم الفكرية وصاحب نية حسنة في
التعامل مع الآخرين . لقد كان أحمد جمال . . (الرمز والعطاء) . . إنه
إضاعة حق ومعلم على طريق الإيمان ، وقنديل وفاء وقصة كفاح ،
وعصامية شريفة . ورحل أحمد جمال وبقي علمه وفكره وثقافته وترك
خلفه رصيد كبير من الحب والتقدير والاعزاز ، بعد حياة حافلة بالإنجاز
والعطاء والتضحية . رحم الله أحمد محمد جمال ونفع المسلمين بترائه
ورزقهم عوضاً عنه .

الأب أحمد محمد جمال (رحمه الله)

بقلم أبنائه

الفصل الثامن :

بقلم أبنائه

● الأب أحمد محمد جمال .

● سيرته الذاتية .

الأب أحمد محمد جمال رحمه الله

طلب إلينا الأخ الكبير والصديق الودود الأستاذ محمد محمود حافظ - متعه الله بالصحة - أن نكتب شيئاً عن والدنا أحمد محمد جمال - رحمه الله - ليضمه إلى الكتاب الذي تزمع رابطة العالم الإسلامي طبعه عنه كداعية إسلامي مبرز على النطاقين المحلي والدولي وجوانب أخرى عن شخصيته العلمية تحت عنوان (أحمد محمد جمال بقلم أبنائه) وبإشراف الصديق الودود .

وماقينا حقيقة لم تحف بعد من ألم الفراق ولوعة الاشتياق فهما معنا أينما كنا وكأننا احشاؤنا في أحشاء الخنساء إذ قالت :

يذكرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل مغيب شمس
ومازلنا ندافع أنفسنا عن حزننا على فراقهما ونستزل الصبر بالتضرع
إلى الله أن يسكنهما فسيح جناته الواسعة (ونقصد بهما الوالدين الحبيين
صالح وأحمد جمال يرجمهما الله) ^(١) .

لذا ونحن نكتب هذه نشعر بأن أصعب كلمات الرثاء هي هذه التي
تنحس في القلب وتستعصي على التعبير، وتوقف اللسان عن البيان،
فتفجر الأحزان من داخل الإنسان وتفتح الجراح، فإذا هي وردة
كالدهان وتسيل الدموع ناطقة عن لوعة المشاعر والوجدان .

(١) صالح جمال هو الأخ الكبير والرميب والصديق ولعبدل بنسخ أحمد جمال صفة ونسباً ومعنى .
بينهما النسب والرمالة والجوار والمصاهرة حيث ترواح في ليلة واحدة من أحتين كريمتين من
مكة من أسرة فاضلة متعهها الله بالعافية .

ذلك لأن الواحد من البشر رغم تيقنه بأن الموت حق على كل مخلوق إذ أن (كل نفس ذائقة الموت) . . . إلا أنه ضعيف رهيف أمام تجربة الفراق التي تباغته بفيض من الأسى والآلام وكأنه ماكان يتوقع أبداً أن يحدث فراق بين الأحباب .

لقد ترك رحيل والدنا أحمد -رحمة الله عليه- المفاجيء^(١) حزناً في القلوب مثلما خلق فراغاً في الساحة يدركه أبناؤه وزملاؤه وتلاميذه وقراءه ومحبيه .

وقد تكاثرت علينا الأسئلة . . من أين نبدأ؟ وماذا عسانا أن نسجل عنه؟ فالأوراق كثيرة جداً . . علاوة على أنه أمضى حياته في مكتبته بين القلم والكتب مستعيناً بالله ومستلهماً أفكاره وخواطره من كتابه الكريم وسنة نبيه الطاهر الأمين ﷺ ومتخذهما سلاحاً له يدافع بهما عن الإسلام وأهله يقيناً منه بصلابته وعدم قهره ضارعاً إلى الله أن يوفقه ويمده بتسديده مخافة الوقوع في سخطه وغضبه .

ولما تكاثرت علينا الأسئلة استقر بنا المقام عند البدء من بيتين من الشعر كان قد كتبهما بيده عام ٦١هـ في الشهر الخامس منه ويقول فيهما :

هجرت القصيد لأهل القصيد وأصبحت أنشد فقهاً صحيحاً
فيارب هب لي روحاً نقياً وفهماً ذكياً وعقلاً رجيحاً^(٢)

(١) سافر إلى القاهرة في الثاني من ذي الحجة على أمل أن يعود بعد أسبوع فمات بها ليلة عرفة وحى ، بحنانه وصلى عليه في الحرم المكي فحرمه لحررم الحج الأكبر ودفن بمقابر المعلا إلى جوار أخيه صالح رحمهما الله (المشرف) .

(٢) من ديوانه الوحيد «وداعاً أبها الشعر»

بدأ حياته أديباً وشاعراً ولم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره بعد،
وقرابة العشرين من عمره هجر القصيد، وبدأ يحفظ القرآن الكريم
وتدبر آياته وقراءة كتب تفسيره والجلوس إلى حلقات الدرس في المسجد
الحرام وحضور حلقات الذكر مقتدياً برسول الأمة صلوات الله وسلامه
عليه ومعلمها وهاديا في سلوكه ونهجه .

وقد تطرق في مذكراته عن بداياته الشعرية ثم هجره للقصيد
واتجاهه للتفقه في الدين . . . ولا بأس في أن نورد بعضاً من مقاله في
قافلة عمره حول ذلك . يقول :

«بدأت رحلتي مع القلم منذ الدراسة الابتدائية وأول كتاب قرأته
هو ديوان الشاعر العراقي معروف الرصافي وقد تأثرت به ، وكنت انظم
الشعر وألقيه في ندوة الخميس وكان الأستاذان الجليلان محمد علي الشالي
وعبدالكريم الجهيمان يصححان لي أشعاري ويقومان أوزانها ويشجعاني
على المضي في المضمار الأدبي) .

(وكما كانت بدايتي - حباً للشعر ونظماً له - فقد أصدرت مجموعة
أشعاري في ديوان أسميته «الطلائع» على أمل أن تتبعه دواوين أخرى في
المستقبل فإذا به يكون الخواتيم ولذلك عندما أعدت طبعه سميته
«وداعاً أيها الشعر» ، ولا أذكر - يقيناً - أول قصيدة قلتها وأول بيت فيها
ولكنك ستجد في الطلائع أن أقدم مانشر لي فيه من شعر مؤرخ بعام
١٣٥٧ هـ أي قلته وعمرني نحو الثالثة عشرة تقريباً .

وقد نشرت قصائد هذا الديوان في صحف ومجلات داخلية
 وخارجية منها مجلات الثقافة والرابطة ومصر الفتاة والصباح والشرق
الجديد المصرية وكذلك الجمهور اللبنانية والرحاب العراقية) .

وعن أسباب هجره للقصيد يقول رحمه الله :

(السبب الرئيسي في تحويلي إلى الثقافة الدينية والدراسات الإسلامية يتمثل في صلاة التراويح . . . فقد كنت أصلي التراويح خلف الشيخ الجليل عبدالله خياط^(١) متعاً الله بالصحة والعافية - فتأثرت بصوته كثيراً فحفظت القرآن الكريم .

ثم تأثرت في دراستي القرآنية بأستاذي السيد علوي مالكي^(٢) - رحمه الله - وكنت أدرس على يده في الحرم المكي لمدة ثلاث سنوات - وربما أكثر - تركزت دراستي خلالها على تفسير القرآن .

ونتيجة تأثري الكبير بهاذين الجانبين فقد بدأت أتوسع في قراءة كتب الشريعة الإسلامية والتفسير والحديث .
ويوضح في موقع آخر بقوله :

(عوّضت خروجي من المعهد قبل إتمام دراستي الثانوية في المسجد الحرام عند أستاذي الجليل السيد علوي بن عباس مالكي - رحمه الله - وكنت أحضر مع شقيقي صالح مجلساً لتلاوة القرآن عند السيد محمد أمين كتي^(٣) . . مع العلماء الأفاضل عمر حمدان ، وسالم شفي ، وعيسى رواس ، ومحمد العربي ، ومحمد نور سيف^(٤)) .

وقد ذكر أيضاً أنه كان في صباه يدعوا الله بعد الطواف بالمسجد الحرام كل ليلة أن يجعله مثل مصطفى صادق الرافعي الكاتب الإسلامي المصري المعروف .

(١) هو إمام وخطيب المسجد الحرام وهو متقاعد عن الإمامة والخطابة من سنين بسبب المرض .

(٢) علامة الحجاز العالم الحبيب المفسر الفقيه ، تلمذ عليه الكثير داخل المملكة ونوفي سنة ١٣٨٩ هـ .

(٣) السيد العلامة الجليل محمد أمين كتي من العلماء الربانيين الذين كان لهم دورهم الإسلامي في نهضة التعليم في المملكة العربية السعودية .

(٤) كان تركه للمعهد في سنة ١٣٥٩ هـ . أي وهو ابن ستة عشر ربيعاً تقريباً .

هذا قليل من كثير وجدناه بين أوراقه وكتبه يرحمه الله .
وبعد هذه المقدمة التي يتضح منها حقيقة نفسه التي هداها الله
إليه .

ننتقل في الحديث عن أحمد محمد جمال الأب والراعي لآل بيته
وأقربائه وأصدقائه . . . ولعل مانورده من أقوال لأحد رفاق صباه يدعم
حديثنا عنه .

كان هيناً ليناً . . . يحكم عقله لا قلبه . يوجه في غير إصرار ويتوجه
بآية كريمة أو حديث نبوي شريف ، يتابعنا في الصلاة ، وخاصة يوم
الجمعة حتى بعد ولادة أحفاده .

تختر لنا من الأسماء أحسنها وكذلك أحفاده واسباطه ، يؤدبهم
ويفرح بهم ويداعبهم ويشترى لهم الهدايا ولا ينسى تحصينهم بكلام الله
ويبحثنا على ذلك دوماً .

وينبها إلى تقوى الله ومخافته ويؤكد لنا أن أثرها يصل للأبناء
ويستشهد في ذلك بقول الله عز وجل :

﴿وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم
فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾ . (النساء آية ٩)

يترك لفعله أن يعلمنا أولاً فهو القدوة ويؤكد لنا أننا نحن قدوة
لأبنائنا وبناتنا فعلاً وقولاً .

يسأل عن أحوالنا في وظائفنا وطريقة تعاملنا مع الآخرين ويؤكد
على مساعدة الجميع دون خوف إلا من الله عز وجل وأن نخالطهم بخلق
حسن .

كان قليل الكلام عن نفسه يكتفم أحزانه ويشكو إلى الله ما يجد .
وهذا ما يؤكده رفيق صباه وصديق عمره اللواء الحبيب على زين
العابدين - أمد الله في عمره - فهو يقول عنه :

(وهو الناشيء التقى تنزل به محنة ويفتك به ظلم ويتتابه حزن فلا
يشكو لأحد الصاحب والأهلين ، ولكنه يلجأ إلى من بيده ملكوت
السموات والأرض القادر وحده على كشف ضره . . . هكذا أنت يا
أحمد ؛ تبطش بك عاديات الزمن وتقسو عليك الأيام في صباحك اليافع
(١٦ عاماً) وتتجههم حياتك فلا تلجأ للهو واللعب والسلو - شأن
أندادك - بل تلجأ إلى الله بعلم نافع وقلب خاشع فأصبحت داعية لله
تدعوا على بصيرة فتح بها الفتاح عليك فكنت من خيرة الشباب كما أنت
اليوم من خير الشيب) .

يجب صلة الرحم ويداوم عليها حتى لذرية من مات من أهل وده
نذكر أنه كان يأخذنا في اليوم الثاني أو الثالث من شهر رمضان المبارك بعد
صلاة التراويح لزيارة شقيقته لنبارك لها ولذريتها وكذلك لعوائل من
أهل أمه يداوم على زيارتهم - رحمه الله - والسؤال عنهم في رمضان والعيد
وبداية العام الهجري الجديد .

يحرص على صلاة المغرب فوق سطح المطابع يومياً وخاصة بعد
وفاة العم الحبيب صالح جمال وصلاً لولده وحينئذ لمجلسه مع أبنائه
اخواننا .

ولا ينسى اصداقائه ممن عاش معهم أيام صباه وشبابه والذين زاملوا
رحلته مع الكلمة الإسلامية وخاصة الوفي الكريم الأستاذ محمد
عبد القادر فقيه - أطال الله عمره - لا يترك زيارته في رمضان بداره بمجلة

السليمانية حيث الرفاق الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي وعبدالعزیز الربيع وغيرهم رحمهم الله . وكذلك الأساتذة الأفاضل صفوت السقا أميني ومحسن باروم ومحمد حسن فقي ومحمد صلاح الدين ومحمد نور جمجوم ومحمد حلمي (الخطاط) ونبیه الأنصاري وأبو الحسن الندوي وأبو الأعلى المودودي وسيد طنطاوي مفتي مصر وغيرهم كثير ممن يحمل لهم المودة، وشأنه كذلك مع تلامذته كالأستاذ عاصم حمدان ود . عدنان وزان ود . جميل مغربي وجمعان الزهراني والمزجاجي الأشعري .

ومن لهم فضل التعليم والتوجيه معلموه يسأل عن الأحياء منهم ويزورهم كالمربي الفاضل أحمد العربي والامام الوقور عبدالله خياط ، ومن مات منهم يسأل عن ذريتهم ويبعث لهم بالتهاني ويدعو من تيسر له الحصول عليهم إلى داره للاجتماع بهم لتجاذب الحديث .

كان دقيقاً في حياته ساعات ليله ونهاره ومحسوبة يقسمها بين أهله ومكتبته ونومه ويقظته ولا يفرط في تلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار وصلاة الليل وسنة الضحى سواء كان مقيماً أو مسافراً وفقاً لساعات محددة . . ولا يقبل أن يضيع الوقت فيما لا فائدة فيه ، ينام ليصحو قبل الفجر بساعة ليتلو القرآن ويصلي .

قد يعتذر عن ندوة فكرية أو مشاركة في مؤتمر خارج البلاد أو داخلها لأجل أبنائه طلاب الجامعة يصحح أوراقيهم ويقوم بأبحاثهم .

لا يتأخر عن واجب يدعوه دينه إليه ، يلبي الدعوات ويواسي في الأموات ويحضر الجنائزات في أي وقت ، يرافق صاحب الحاجة للتوسط أو الشفاعة عند ولي أمر أو مسؤول . . . يحرص على قضاء الحاجات ويساعد المحتاجين .

يقول صهره العزيز الأستاذ طاهر جميل عابد :

(إتصل بي هاتفياً في وقت متأخر جداً من الليل قبل أيام من سفرته الأخيرة التي توفاه الله فيها ليؤكد على إسكان امرأة أمريكية مسلمة هي وأولادها في سكن جمعية صندوق البر التي كان يرأسها يرجمه الله مؤكداً أن ارتداد زوجها عن الإسلام يحملنا مسؤولية هؤلاء أمام خشية ارتدادها هي أيضاً، رغم أن نظام الجمعية يمنع إسكان غير السعوديين).

كان متواضعاً يستحي من أن يسمع مدحاً عنه ويخجل من ذلك ويرى نفسه مسكيناً وطالب علم . . . يرد على سؤال طرح عليه بأنه يوصف بالكاتب الإسلامي فما هو رأيه ؟ .

(وصفي بأني كاتب إسلامي لقب كبير لا أستحقه كالشوب الفضفاض على جسد نحيل) .

كنا نتعجب من طلبه للعلم فلقد كان كثير القراءة حتى في سفره فزرع فينا حب القراءة ومطالعة الكتب ومتابعة أخبار العالم وأحوال المسلمين في جميع أنحاء العالم .

ويؤكد صديقه اللواء على زين العابدين ذلك فهو يراه ينكب على العلم انكباً ويلتهم الكتب التهاماً ولا يترك مجلة أدبية أو صحيفة إلا ويقرأها لأن مكتبة شقيقه الشيخ صالح كانت نادياً أدبياً ومكتبة ثقافية بحق .

يتلقى الصدمات بجلد ورباطة جأش متمثلاً قول الله عز وجل :

﴿والذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾
مصدقاً ومؤمناً بأن : ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ .

وحقاً كان هذا موقفه في مصيبتين نزلتا به وهو في أشد الحاجة للموازنة والمعاوضة، وفاة والدته فجأة وهو في مؤتمر إسلامي في الجزائر ولم يرها وهو المتعلق بها المحب لها- نذكر أنه كان ليلاً يجلس معها ويصلي أمام غرفتها- والثانية وفاة شقيقه الأكبر العم الغالي صالح رفيق خطوه وتوأم روحه وأمين سره ومستشاره الصالح وكلاً منهما كان للآخر كذلك توفي فجأة في وقت أحوج ما يكون فيه كلاهما للآخر، حتى أنه قال (تركنتني وحيداً يا صالح!) واسترجع الله فيها ودمعت عيناه حزناً على فراقها، وكأننا به مشتملاً قول الشاعر:

وكن رجلاً على الأهوال جلدًا

وشيمنتك الساحة والوفاء

لا يستأنس بعد كتاب الله إلا في مكتبته بين كتبه ويراعه وكأنها هو رهين المكانين [مكتبته ومكتبته] يقرأ ويهشم ويكتب ويبحث ومما شجعه على ذلك- رغم أنه سبب له الألم والحسرة في البداية- تركه للدراسة في سن مبكرة حيث يقول:

(لم أخرج من السنة الثانية في المعهد، إنما تخرجت من السنة الأولى إضطراراً للعمل والتكسب، وقد سبقني إلى هذا الاضطراب أخي الأستاذ صالح، وقد ظللت أعاني من هذا الاضطراب وظللت أرى في منامي رؤى متتابعة.. أرى نفسي مقعداً مقعد الدراسة مع زملائي كنت حريصاً على أن أتم تعليمي الثانوي ثم الجامعي).

(وكان ما أعانيه من أسى ومن أسف لتركي للدراسة مبكراً دافعاً وعاملاً مؤثراً قوياً في أن أتولى بنفسني الدرس والتحصيل).

(إنخذت مبدأ أو شعار «اطلب العلم من المهد إلى اللحد» ولا أزال حتى اليوم أعتبر نفسي طالب علم مهما وصفني الوصافون ، وأنا ثابت على هذا المبدأ .

وظللت أطلب العلم من سنة ١٣٥٩ هـ - سنة تركي للمعهد - إلى هذا اليوم أدرس وأقرأ وأكتب وأبحث وأسأل وأتحرى وانتظر من يصوب خطائي ويذكر نسياني).

وبهذه الروح الطيبة والنفس المطمئنة استطاع أن يكون مدرساً جامعياً بدون شهادة أو بحرف دال يسبق إسمه .

والحديث عنه ممتع وعذب وفي نفس الوقت مخففاً من مصيبة فقده ، ولو أردنا الاسترسال لتشمل كلمتنا هذه جوانب حياته لأخذت الكثير من الأوراق - ولانزكي على الله أحداً - وحسبنا من أراد أن يعرف عنه أكثر أن يقرأ رثاء أحبائه وأصحابه في صفحات الجرائد .

وختامه مسك وهو ما عرف عنه خلق قل أن يجده المسلمون في دعائهم وهو أنه لا يخاف في الله لومة لائم أخذاً بالآية الكريمة : ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين﴾ شرعةً ومنهاجاً في دعوته إلى الله يجهر بالحق في لين من غير ضعف وبحسن منطق وطيب كلمة ولا يحمل الحقد فهو دائماً يردد الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية .

وبهذا كان معروفاً بين أهله وقرباته يحتكمون إليه فيما ينشب بينهم من خلافات ولا يفتشي سراً فصدره أوسع للسر من صاحبه .

ويكفينا فخراً في الدنيا وعزاً في الآخرة إن شاء الله أن يكون والدنا هو أحمد بن محمد جمال ذلك الرجل الذي حمل في مجرى دمه الدفاع عن

الدين الذي ارتضاه ربنا عز وجل لجميع خلقه .
فاللهم أرحمه رحمة الأبرار وأجعل نفسه مطمئنة راجعة إليك يارب
راضية مرضية .

أبناء، أحمد محمد جمال (رحمه الله)

**السيرة الذاتية للشيخ أحمد محمد جمال رحمه الله وجمعنا به
على خير مقدم من أبنائه بارك الله فيهم ونفع بهم
إنه سميع مجيب**

أحمد

ابن محمد

ابن صالح

ابن عبدالقادر

ابن صالح

ابن عبدالرحمن

ابن عثمان

ابن عارف

ابن محمد جمال .

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٣ هـ وعاش بها حتى وفاته . يرتفع
نسبه إلى الخليفة الراشد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روى
ذلك الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي في كتابه الشهير بأزهار
البيستان (الأزهار الطيبة النشreen الأعيان في كل عصر) .

كما جاء في نفس الكتاب أن الشيخ عارف بن محمد جمال كان ممن
درس القرآن والحديث والتفسير والفقه على المشايخ في المسجد الحرام وأنه
توفي في عام ١١٦٣ هـ . وأيضاً جاء فيه (أن الشيخ عبدالرحمن الكبير بن

العلامة عارف بن محمد جمال الامام والمدرس بالمسجد الحرام واحد من علماء مكة العاملين . . . ولد بمكة وتوفي بها عام ١٢٤٩ هـ بعد أن ولي جده في عهد الشريف غالب وخلفه في ذلك ابنه عثمان).

وأحمد محمد جمال هو أحد أبناء هذه السلالة الطيبة وشقيقه صالح - صاحب مكتبة الثقافة بمكة المكرمة - نشأ في رعاية والدهما وكان تاجراً معروفاً بشارع المسعى حيث يسكنون أمام بيت الله الحرام أشقائهم على وعبد القادر ومحمود.

درس بمدرسة العزيزية الابتدائية وتخرج منها ثم التحق بالمعهد العلمي السعودي وخرج منه في السنة الأولى طالباً للتكسب مع شقيقه صالح عام ١٣٥٩ هـ.

في ٢٣ / ٥ / ١٣٦٣ هـ عمل في رئاسة القضاة ككاتب آلة ثم انتقل إلى كتابة عدل ثم إلى المحكمة الشرعية الكبرى في ٢٣ / ٥ / ١٣٦٣ هـ.

استهوته صنعة الأدب والصحافة منذ أن كان طالباً وظلت تكبر في نفسه وتتقدم خطوة في الحياة فترك العمل الحكومي . لأجل هذه الصنعة في ١ / ١ / ١٣٦٥ هـ وعمل سكرتيراً لتحرير جريدة البلاد السعودية وكان يعمل مديراً ومحرراً ومصححاً وصيفاً للمواد الاخبارية أيضاً حتى ١١ / ٤ / ١٣٧١ هـ حيث عاد للعمل الحكومي وعين مساعداً لإدارة الثقافة والتعليم بوزارة الداخلية ثم مديراً لشؤون الجنسية والجوازات والاحصاء في ١ / ١٠ / ١٣٧٣ هـ على عهد سمو الأمير عبدالله الفيصل .

في ٢٣ / ٢ / ١٣٧٥ هـ صدر مرسوم ملكي بتعيينه عضواً في مجلس الشورى وأحيل إلى التقاعد في ١ / ٧ / ١٤٠٨ هـ مع استمراره في

العضوية حتى وفاته يرحمه الله .

حصل شقيقه الشيخ صالح جمال على امتياز اصدار جريدة حراء في عام ١٣٧٦ هـ فعمل معه مديراً للتحرير في عام ١٣٧٦ هـ .

وفي عام ١٣٧٨ هـ صدر نظام بدمج الصحف فادجت حراء مع الندوة ^(١) وصدرت باسم الندوة واستمرت كذلك لصاحب امتيازها يشاركه شقيقه أحمد حتى عام ١٣٨٣ هـ حيث صدر نظام أخير بتحويل الصحف إلى مؤسسات عامة بعد أن كانت صحافة أفراد .

اختاره الملك فيصل عضواً في لجنة لوضع النظام الأساسي للحكم ^(٢) وذلك سنة ١٣٨٢ هـ .

اختير مدرساً للثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز عام ١٣٨٧ هـ بفرعيها بمكة وجدة وعندما انفصلت وانشئت جامعة أم القرى بمكة اكتفى بالتدريس فيها لمادة الثقافة الإسلامية وتفسير القرآن الكريم حتى وفاته (بدون مقابل مادي) .

● عمل عضواً في اللجنة الثقافية برابطة العالم الإسلامي . ثم مشرفاً لسلسلة الكتاب الإسلامي دعوة الحق ١٤٠٢ وحتى وفاته .

● وعضواً بمجلس الأوقاف بمكة المكرمة .

● وعضواً بالمجلس البلدي بمكة المكرمة .

● وعضواً خبيراً بمجمع الفقه الإسلامي ١٤٠٦ هـ . التابع لمنظمة

(١) اللجنة كانت مكونة من الأمير مساعد بن عبدالرحمن (رئيساً) وعضوية كلاً من أحمد محمد جمال - محمد بن جبير - أحمد بن زكي يمني - ابراهيم السويل - عبدالرحمن أبا الخيل .

(٢) الندوة امتيازها للمرحوم الشيخ الأديب أحمد السعدي وتم الاتفاق بينه وبين الشيخ صالح جمال على بيعها له فضمت إلى حراء وصدرت باسم الندوة .

المؤتمر الإسلامي في جدة .

● وعضواً في منظمة الشباب الإسلامي العالمية .

● وعضواً ثم رئيساً لجمعية صندوق البر بمكة المكرمة منذ انشاءها .

● قام بالاشراف على مجلة التضامن الإسلامي التي تصدر شهرياً عن وزارة الحج والأوقاف وقدم استقالته للوزير قبل وفاته بسنة أو أكثر . عمل بالاذاعة السعودية كمذيع منذ إنشاءها عام ١٣٦٩ هـ وشارك بتقديم نشرات الأخبار وبرامج ثقافية متنوعة وأحاديث من اعداده بناء على طلب مدرائها حينذاك .

● شارك في كثير من المؤتمرات والندوات داخل المملكة وخارجها وفي معسكرات الشباب الإسلامي وتنقل كداعية أيضاً في كثير من دول العالم العربي والإسلامي وأوروبا وأمريكا وأفريقيا وجنوب شرق آسيا حتى وصل إلى الصين .

تناول في مؤلفاته - التي تزيد على ٣٥ مؤلفاً - مجالات شتى دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية . وفي سنواته الأخيرة اتجه لتفسير القرآن الكريم .

ويتبين لقارئها أن محور مواضيعها بحثاً ونقاشاً وتعقيبات وعرض آراء ومقترحات ووضع حلول إنما يركز على خلفية إسلامية بحثة يدافع بها عن الإسلام ويجاهد بقلمه لرد كيد أعداء الإسلام مستنداً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصحاً وتوجيهاً للأبناء أمتة فتياناً وفتيات رجالاً ونساء .

- ١- ماذا في الحجاز- ١٣٥٤هـ.
- ٢- سعد قال لي- ١٣٥٩هـ.
- ٣- الطلائع- ١٣٦٦هـ.
- ٤- مكانك تحمدي- ١٣٨٤هـ.
- ٥- محاضرات في الثقافة الإسلامية- ١٣٩١هـ.
- ٦- على مائدة القرآن الكريم (دين ودولة) (مباديء ومثل)- ١٣٧١هـ.
- ٧- القصص الرمزي في القرآن الكريم.
- ٨- القرآن كتاب أحكمت آياته، جزءان- ١٣٧٣هـ.
- ٩- القرآن الكريم مآدبة الله في الأرض- ١٤٠٤هـ.
- ١٠- مفتريات على الإسلام.
- ١١- مسؤولية العلماء في الإسلام- ١٣٨٦هـ.
- ١٢- الجهاد في الإسلام- مراتبه ومطالبه.
- ١٣- نحو تربية إسلامية- ١٤٠٠هـ.
- ١٤- خطوات على طريق الدعوة. ثلاثة أجزاء.
- ١٥- كرائم النساء- ١٣٩٤هـ.
- ١٦- نساءنا ونساؤهم.
- ١٧- نساء وقضايا- ١٤٠٤هـ.
- ١٨- تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل- ١٣٩٤هـ.
- ١٩- من أجل الشباب.
- ٢٠- حوار مع الشباب.
- ٢١- أوصيكم بالشباب خيراً- ١٤٠٩هـ.

- ٢٢- الشباب دراسات ولقاءات - ١٣٩٩ هـ.
- ٢٣- الاقتصاد الإسلامي - ١٤٠١ هـ.
- ٢٤- عقود التأمين .
- ٢٥- استثمار وكفاح .
- ٢٦- مأساة السياسة العربية - ١٣٨١ هـ.
- ٢٧- نحو سياسة عربية صريحة - ١٤٠٢ هـ.
- ٢٨- في مدرسة النبوة - ١٤١٤ هـ.
- ٢٩- أدب وأدباء - ١٤١٣ هـ.
- ٣٠- الصحافة في نصف عمود - ١٤١٢ هـ.
- ٣١- تاريخنا لم يقرأ بعد .
- ٣٢- الأمة الواحدة .
- ٣٣- يسألونك (جزئين) .
- ٣٤- من كشمير إلى فلسطين .
- ٣٥- قضايا معاصرة في محكمات الفكر الإسلامي - ١٤٠٠ هـ.
- ٣٦- فكرة الدولة في الإسلام .
- ٣٧- حول منهج الدعوة الإسلامية - ١٤٠١ هـ.
- ٣٨- المسلمون حديث ذو شجون - ١٤١١ هـ.
- ٣٩- أعلام العلماء الاعلام وبناء المسجد الحرام (تعليق على الكتاب باشتراك مع الأستاذ الفاضل عبدالعزيز الرفاعي) - ١٣٦٦ هـ.
- ٤٠- رفقا بالقوارير .

وفاته رحمه الله :

توفي ساعة السحر من ليلة التاسع من شهر ذي الحجة عام ١٤١٣ هـ بالقاهرة أرض الكنانة وهو نائماً صيام يوم عرفة ونقل جثمانه إلى مكة المكرمة ليصل عليه في المسجد الحرام فجر يوم الاثنين عيد الأضحى من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يحفظه الله إذ أمر بنقل جثمانه بطائرة خاصة عند سماعه للنبا جزاه الله خير.

دفن رحمه الله بمقابر المعلا بمكة المكرمة قريباً من مقبرة السيدة الطاهرة خديجة زوجة خير خلق الله سيدنا محمد ﷺ . رحم الله الشيخ أحمد رحمة الأبرار وغفر له وجمعنا به على ما يحب ويرضاه .

فهرس الموضوعات

الموضوعـــــــــــــــــــــــوع

رقم الصفحة

هذا الكتاب (الاستاذ/ محمد محمود حافظ)

الفصل الأول :

أحمد محمد جمال رائد من رواد الادب الاسلامى
(سعادة الاستاذ/ السيد محسن باروم) ٧ — ٣٦

الفصل الثانى :

أحمد محمد جمالى رفيق صباى وشيخوختى
(لسعادة اللواء/ على زين العابدين) ٣٧ — ٧٢

الفصل الثالث :

الشيخ أحمد محمد جمال ورحلاته الاسلامية
(لسعادة الاستاذ الدكتور/ حسن محمد باجودة) ٧٣ — ١١٠

الفصل الرابع :

أنا وأحمد محمد جمال رحمه الله
(لسعادة الدكتور/ عبد الصبور مرزوق) ١١١ — ١٢٢

الفصل الخامس :

أحمد محمد جمال بين العلم والأدب
(لسعادة الدكتور/ عاصم حمدان على حمدان) ١٢٣ — ١٣١

٢٢٧

الفصل السادس :

العناية بتفسير آيات القرآن الكريم

(لسعادة الدكتور/ حسن ضياء الدين عتر) ... ١٣٣ — ١٨٧

الفصل السابع :

أحمد محمد جمالي رحمه الله ظاهرة فكرية

(للاستاذ/ زهير محمد كتيبي) ... ١٨٩ — ٢٠٣

الفصل الثامن :

الأب أحمد محمد جمال (بقلم أبنائه) ... ٢٠٥ — ٢١٩

السيرة الذاتية للشيخ أحمد محمد جمال رحمه الله ... ٢٢٠ — ٢٢٦

صدر من هذه السلسلة

- ١ - تأملات في سورة الفاتحة ----- الدكتور حسن باجودة
- ٢ - الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٣ - الرسول في كتابات المستشرقين الأستاذ نذير حمدان
- ٤ - الاسلام الفاتح ----- الدكتور حسين مؤنس
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري ----- الدكتور حسان محمد مرزوق
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن ----- الدكتور عبد الصبور مرزوق
- ٧ - التخطيط للدعوة الاسلامية ----- الدكتور محمد علي جريشة
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية الدكتور أحمد السيد دراج
- ٩ - التوعية الشاملة في الحج ----- الأستاذ عبد الله بوقس
- ١٠ - الفقه الاسلامي آفاقه وتطوره ----- الدكتور عباس حسن محمد
- ١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم ----- د. عبد الحميد محمد الهاشمي
- ١٢ - السنة في مواجهة الاباطيل ----- الأستاذ محمد طاهر حكيم
- ١٣ - مولود على الفطرة ----- الأستاذ حسين أحمد حسون
- ١٤ - دور المسجد في الاسلام ----- الأستاذ محمد علي مختار
- ١٥ - تاريخ القرآن الكريم ----- الدكتور محمد سالم محيسن
- ١٦ - البيئة الادارية في الجاهلية وصدر الاسلام ----- الأستاذ محمد محمود فرغلي
- ١٧ - حقوق المرأة في الإسلام ----- د. محمد الصادق عفيفي
- ١٨ - القرآن لكریم كتاب أحكمت آياته [١] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها ----- د. شعبان محمد اسماعيل
- ٢٠ - المعاملات في الشريعة الاسلامية ----- الدكتور عبد الستار السعيد
- ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها ----- الدكتور علي محمد العماري
- ٢٢ - حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم ----- الدكتور أبو اليزيد العجمي
- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا ----- الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر ----- الدكتور عدنان محمد وزان
- ٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة ----- معالي عبد الحميد حمودة
- ٢٦ - تربية النشء في ظل الاسلام ----- الدكتور محمد محمود عمارة
- ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الاسلامي ----- د. محمد شوقي الفنجري
- ٢٨ - وحي الله ----- د. حسن ضياء الدين عتر
- ٢٩ - حقوق الانسان وواجباته في القرآن ----- حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
- ٣٠ - المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية ----- الأستاذ محمد عمر القصار

٢١	القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٢٢	الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج	الدكتور السيد رزق الطويل
٢٣	الاعلام في المجتمع الاسلامي	الأستاذ حامد عبد الواحد
٢٤	الالتزام الديني منهج وسط	عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
٢٥	التربية النفسية في المنهج الاسلامي	الدكتور حسن الشرقاوي
٢٦	الاسلام والعلاقات الدولية	د. محمد الصادق عفيفي
٢٧	العسكرية الاسلامية ونهضتنا الحضارية	اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
٢٨	معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها	الدكتور محمود محمد بابلي
٢٩	المنهج الحديث في مختصر علوم الحديث	الدكتور علي محمد نصر
٤٠	من التراث الاقتصادي للمسلمين	د. محمد رفعت العوضي
٤١	المفاهيم الاقتصادية في الاسلام	د. عبد العليم عبد الرحمن خضر
٤٢	الاقليات المسلمة في أفريقيا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٣	الاقليات المسلمة في أوروبا	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٤	الاقليات المسلمة في الأمريكتين	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
٤٥	الطريق إلى النصر	الأستاذ محمد عبد الله فودة
٤٦	الاسلام دعوة حق	الدكتور السيد رزق الطويل
٤٧	الاسلام والنظر في آيات الله الكونية	د. محمد عبد الله الشرقاوي
٤٨	دحض مفتريات	د. البدر اوي عبد الوهاب زهران
٤٩	المجاهدون في فطان	الأستاذ محمد ضياء شهاب
٥٠	معجزة خلق الانسان	د. نبيه عبد الرحمن عثمان
٥١	مفهوم القيادة في إطار العقيدة الاسلامية	د. سيد عبد الحميد مرسي
٥٢	ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربي والماركسي	الأستاذ أنور الجندي
٥٣	الشورى سلوك والتزام	لدكتور محمود محمد بابلي
٥٤	الصبر في ضوء الكتاب والسنة	أسماء عمر فدعق
٥٥	مدخل إلى تحصين الأمة	الدكتور أحمد محمد الخراط
٥٦	القرآن كتاب أحكمت آياته [٣]	الأستاذ أحمد محمد جمال
٥٧	كيف تكون خطيباً	الشيخ عبد الرحمن خلف
٥٨	الزواج بغير المسلمين	الشيخ حسن خالد
٥٩	نظرات في قصص القرآن	محمد قطب عبد العال
٦٠	اللسان العربي والاسلامي مع في مواجهة التحديات	الدكتور السيد رزق الطويل

- ٦١- بين علم آدم والعلم الحديث----- الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
- ٦٢- المجتمع الاسلامي وحقوق الانسان----- د. محمد الصادق عفيفي
- ٦٣- من التراث الاقتصادي للمسلمين [٢]----- الدكتور رفعت العوضي
- ٦٤- تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد----- الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة
- ٦٥- لماذا وكيف أسلمت [١]----- الشهيد أحمد سامي عبد الله
- ٦٦- أصلح الأديان عقيدة وشريعة----- الأستاذ عبد الغفور عطار
- ٦٧- العدل والتسامح الاسلامي----- الأستاذ أحمد المخزنجي
- ٦٨- القرآن كتاب أحكمت آياته [٤]----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٦٩- الحريات والحقوق الاسلامية----- محمد رجاء حنفي عبد المتجلى
- ٧٠- الانسان الروح والعقل والنفس----- د. نبيه عبد الرحمن عثمان
- ٧١- كتاب موقف الجمهوريين من السنة النبوية----- الدكتور شوقي بشير
- ٧٢- الاسلام وغزو القضاء----- الشيخ محمد سويد
- ٧٣- تأملات قرآنية----- الدكتورة عصمة الدين كركر
- ٧٤- الماسونية سرطان الأمم----- الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله
- ٧٥- المرأة بين الجاهلية والاسلام----- الأستاذ سعد صادق محمد
- ٧٦- استخلاف آدم عليه السلام----- الدكتور علي محمد نصر
- ٧٧- نظرات في قصص القرآن [٢]----- محمد قطب عبد العال
- ٧٨- لماذا وكيف أسلمت [٢]----- الشهيد أحمد سامي عبد الله
- ٧٩- كيف ندرس القرآن لأبنائنا----- الأستاذ سراج محمد وزان
- ٨٠- الدعوة والدعاة .. مسؤولية وتاريخ----- الشيخ أبو الحسن الندوي
- ٨١- كيف بدأ الخلق----- الأستاذ عيسى العرباوي
- ٨٢- خطوات على طريق الدعوة----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٨٣- المرأة المسلمة بين نظرتين----- الأستاذ صالح محمد جمال
- ٨٤- المبادئ الاجتماعية في الاسلام----- محمد رجاء حنفي عبد المتجلى
- ٨٥- التآمر الصهيوني الصليبي على الاسلام----- د. ابراهيم حمدان علي
- ٨٦- الحقوق المتقابلة----- د. عبد الله محمد سعيد
- ٨٧- من حديث القرآن على الانسان----- د. علي محمد حسن العماري
- ٨٨- نور من القرآن في طريق الدعوة والدعاة----- محمد الحسين أبو سم
- ٨٩- أسلوب جديد في حرب الاسلام----- جمعان عايض الزهراني
- ٩٠- القضاء في الاسلام----- سليمان محمد العيضي

- ٩١ - دولة الباطل في فلسطين ----- الشيخ القاضي محمد سويد
- ٩٢ - المنظور الاسلامي لمشكلة الغذاء وتحديد النسل ----- د. حلمي عبد المتعم جابر
- ٩٣ - التهجير الصيني في تركستان الشرقية ----- رحمة الله رحمتي
- ٩٤ - الفطرة وقيمة العمل في الاسلام ----- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- ٩٥ - اوصيكم بالشباب خيراً ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ٩٦ - المسلمون في دوائر النسيان ----- أسماء أبو بكر محمد
- ٩٧ - من خصائص الاعلام الاسلامي ----- محمد خير رمضان يوسف
- ٩٨ - الحرية الاقتصادية في الاسلام ----- د. محمود محمد بسايلي
- ٩٩ - من جماليات التصوير في القرآن الكريم ----- الأستاذ محمد قطب عبد العال
- ١٠٠ - مواقف من سيرة الرسول ----- الأستاذ محمد الأمين
- ١٠١ - اللسان العربي بين الانحسار والانتشار ----- الأستاذ محمد حسنين خلاف
- ١٠٢ - اخطار حول الاسلام ----- الأستاذ هاشم عقيل عزوز
- ١٠٣ - صلاة الجماعة ----- د. عبد الله محمد سعيد
- ١٠٤ - المستشرقون والقرآن ----- د. اسماعيل سالم عبد العال
- ١٠٥ - مستقبل الاسلام بعد سقوط الشيوعية ----- الأستاذ أنور الجندي
- ١٠٦ - الاقتصاد الاسلامي هو البديل ----- د. شوقي أحمد دنيا
- ١٠٧ - توجيه وارشاد الشباب المسلم نحو قضاء وقت الفراغ ----- عبد المجيد أحمد منصور
- ١٠٨ - المخدرات مضارها على الدين والدنيا ----- الدكتور ياسين الخطيب
- ١٠٩ - في ظلال سيرة الرسول ﷺ ----- الأستاذ أحمد المخزنجي
- ١١٠ - أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ----- محمود محمد كمال عبد المطلب
- ١١١ - زينة المرأة بين الاباحة والتحريم ----- د. حياة محمد علي عثمان خفاجي
- ١١٢ - التربية الاسلامية كيف نرغبها لابنائنا ----- د. سراج محمد عبد العزيز وزان
- ١١٣ - النموذج العصري للجهاد الافغاني ----- عبد رب الرسول سياف
- ١١٤ - المسلمون حديث ذو شجون ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١١٥ - الترف وأثره في المجتمع من خلال القرآن الكريم ----- ناصر عبد الله العمار
- ١١٦ - المسلمون في بورما .. التاريخ والتحديات ----- نور الاسلام بن جعفر علي آل فايز
- ١١٧ - آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ----- د. جابر المتولي تميمية
- ١١٨ - اللباس في الاسلام ----- أحمد بن محمد المهدي
- ١١٩ - أسس النظام المالي في الاسلام ----- الأستاذ محمد أبو الليث
- ١٢٠ - المستشرقون والقرآن [٢] ----- د. اسماعيل سالم عبد العال

- ١٢١- الاسلام هو الحل ----- القاضي الشيخ محمد سويد
- ١٢٢- نظرات في قصص القرآن ----- الأستاذ محمد قطب عبد العال
- ١٢٣- من حصاد الفكر الاسلامي ----- د. محمد محي الدين سالم
- ١٢٤- خواطر اسلامية ----- الأستاذ ساري محمد الزهراني
- ١٢٥- الاسلام ومكافحة المخدرات ----- الأستاذ اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
- ١٢٦- دروس تربوية نبوية ----- الأستاذ صالح أبو عراد الشهري
- ١٢٧- الشباب المسلم بين تجربة الماضي وآفاق المستقبل ----- د. عبد الحليم عويس
- ١٢٨- من سمات الأدب الإسلامي ----- د. مصطفى عبد الواحد
- ١٢٩- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الأول] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٣٠- خطوات على طريق الدعوة [الجزء الثاني] ----- الأستاذ أحمد محمد جمال
- ١٣١- المسجد البابري قضية لا تنسى ----- عبد الباسط عز الدين
- ١٣٢- التدريس في مدرسة النبوة ----- د. سراج عبد العزيز الوزان
- ١٣٣- الإعلام الإسلامي ووسائل الإتصال الحديثة ----- الأستاذ ابراهيم إسماعيل
- ١٣٤- تسخير العلم والعمل لمجد الإسلام ----- د. حسن محمد باجودة
- ١٣٥- منهاج الداعية ----- الأستاذ أحمد أبو زيد
- ١٣٦- في جنوب الصين ----- الشيخ محمد بن ناصر العبودي
- ١٣٧- التنمية والبيئة دراسة مقارنة ----- د. شوقي أحمد دنيا
- ١٣٨- الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل ----- د. محمود محمد بابلي
- ١٣٩- سقوط الأيديولوجيات ----- الأستاذ أنور الجندي
- ١٤٠- الطفل في الإسلام ----- الأستاذ محمود الشرقاوي
- ١٤١- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها ----- فتحي بن عبد الفضيل بن علي
- ١٤٢- لمحات من الطب الإسلامي ----- د. حياة محمد علي خفاجي
- ١٤٣- الاسلام والمسلمون في ألبانيا ----- د. السيد محمد يونس

مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة